

الهداية

[تصدر في الاستانة ربيع الاول سنة ١٣٣١]

استاذ الفرائد

شريعة الاسلام

- (ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده واتم ظالمون واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل يا مكرهين ايمانكم ان كنتم مؤمنين .)

سبق لنا القول في بيان أن قوم موسى بعد ما علموا من آيات الله وقرآنه انقادوا الى ذلك السامري (١) بعد اذ غاب عنهم موسى فاضلهم هذا اذ اخرج لهم عجلا جسدا له خوار (فقال هذا الهكم واله موسى فنبى افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم

(١) نسبة الى سامرة او الى شامرو وهو اسم عبراني يقع ذكره كثيرا في

وان يتوسلا اليها بمنح الباب العالي في نظير ذلك قرصاً يلقى به غلة الموظفين . . .
وليبرر كامل باشا ونظام باشا عملهما الخجل ويخلصا من سخط الشعب وهياجه ومن تحرك العالم الاسلامي عمدا الى وسيلة مستهجنة استبدادية وهي عقد جمعية تسمى وطنية يفهم على رآيهما بين حيوانها اساطين السياسة والتجارة والشؤون المالية والادارية والشرعية . وما اسرع ماددا كامل باشا الى جمعته هذه كل من توسم فيه الاثمار بأمره من عباد السلطنة المتحكمة ومن لاهم لهم الا الاشتغال بجمع الاموال .

ولما التأمت هذه الجمعية عرض كل من كامل باشا وزردونكيان افندي ونظام باشا تقرراً يظهر فيه الحالة في مظهر الخطر العظيم بدرجة جعلت هذا المجلس الصوري يت قراره بموافقة الحكومة على خطتها السيئة واجابة الدول الأوربية الى سؤلن .

وعلى اثر ذلك شرع كامل باشا يحضر مذكرة اجابية ليرسل بها الى الدول رداً على مذكرتهن المتقدم ذكرها . وبعد ان اعدت المذكرة ووقع بالفعل عليها وحاول ارسالها الى الماركيز سيلا فيشيني اكبر سفراء الدول في الاستانة سنا واقدمهم عهداً حدث حادث غريب لم تكن تتطوره الوزارة المتقرضة .

ذلك ان الاسى كان قد ازهق النفوس واستولى الهلع على القلوب واذن مؤذن النبي في العالم الاسلامي قاطبة باقامة صلاة الجنازة على الدولة العثمانية التي يهيئ الاتحاد لها حفرتها ولا تلبث ان تتوارى فيها . وبما ان هذه الدولة لم يمس عليها من اعمار الدول بما يحيز فناءها (وعلمها لم تكن سوى عرض بسيط) فقد افاقت فجأة من غشيتها وانتفضت من كفنها وافلتت من يدي لحادها وهمت منتعبة على قدميها تبدي للعالم بأسره كيف تكون الحياه !

كانت الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ موعدا لارسال المذكرة الاجابية من الباب العالي . فبينما يجلس الوزراء منعقد اذا بيد الانقلاب قد امتدت الى الوزارة ففضت عليها وانقضت السلطنة العثمانية الى العالم الاسلامي بأسره من الغناء .

وفي يوم الاثنين ٣ فبراير انتهى موعدا الهدنة فنشبت الحرب في الساعة من مساء ذلك اليوم . ومن ذلك العهد اخذ الجيش العثماني يتاجز الجيوش البلقانية في كل مكان . وقد علم اليوم ان الجيش البلقاني انسحب من شتاجه وان جنودنا تطارد البلقانيين في غاليلوى كتب الله لهم النصر المبين

هرون من قبل يا قوم انما فتتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا
أمرى)

ولقد كان السامري يعبد الاصنام ويصنعها فاتخذ لبني اسرائيل من
حليهم ذلك العجل وقدره تقديرا اكسبه تلك القدرة على ارسال خواره
صعدا في الفضاء كما يفعل العجل من الحيوان . ولقد كان ذلك من
صناعات الجوس وحذقهم .

ومن هذا الباب ما عمل ارجعيانوس الموسيقار في هيكل اورشليم العتيق
عند تجديده اياه . وذلك انه اتفق له اذ كان مجتازا بفلاة من الارض
ان وجد بها أحد فراخ البراصل وهو طائر عطوف يصفر صغيرا شجيا
حزينا وكانت البراصل تبيضه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل
بعضها عند حاجته . فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمل حال ذلك الفرخ
وعلم ان لصفيره المخالف لصفير البراصل الاخرى ضربا من التوجع
والاستعطاف رقت له بسببه الطيور وجاءته بما يأكله فتلطف بصنع آلة
تشبه الصفارة اذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصفير ولم يزل يجرب
ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء الى ذلك الفرخ
ظانة ان هناك فراخا من جنسها فلما صح له ما اراد اظهر النسك وعمد
الى هيكل اورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها ارسطرخس الناسك
القيم بعمارة ذلك الهيكل فاخبر بانه دفن في احدى ليالى شهر آب فاتخذ
كتب العهد القديم ابدلت سينه بالتمريب شيئا كما هي القاعدة المأثورة فلا وجه
لاعتراض المسيحيين بان السامريين الذين منهم السامري لم يوجدوا الا بعد موسى
بسينين .

صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل
وجعل فوق تلك الصورة قبة وامرهم بفتحها في أول آب وكان يظهر
البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون
حتى كانت تمتلئ القبة كل يوم من ذلك الزيتون فكان الناس يعتقدون انه
من كرامات ذلك المدفون (١)

على هذا النحو من الحذق في الصناعة عمل السامري عجله من
الذهب وقدر جوفه تقديرا ابرز به لجهال بني اسرائيل واغراهم ذلك
الحوار المشبه لاصوات البقر الحى . فلم يكن أمر العجل من خوارق
العادات ولا من الكائنات الخارجة عن دائرة المعقولات وانما فتن به
الجاهلون بالصناعة الطائرون الى كل هيعة يسمعونها .

تمكن حب العجل من أفئدة جهال بني اسرائيل حتى عكفوا على
عبادته وعصوا في سبيله هرون عليه السلام فكان كلما ذكرهم بما جاءهم
به موسى في التوراة من توحيد الله تعالى وعدم الشرك به قالوا سمعنا
وعصينا (ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع
الينا موسى)

وماذا فعل بنو اسرائيل بعبادتهم العجل بعد أن أخذ الله ميثاقهم
اذ آمنوا بكتابه ورسالة رسوله سوى أن ضلت احلامهم بعد العلم
وعمت ابصارهم بعد الادراك فلم يظلمهم الله شيئا ولكن كانوا هم
الظالمون .

عرض الله عليهم كتابه وأيد بروحه القدسية رسوله موسى فلم يستطع بنو إسرائيل سوى أن يؤمنوا بوجهه ويقدموا ميثاقهم إليه أن يكونوا عند حدود تكاليفه ومحارمه فلا يمتدوها. ثم اراهم كيف جاءهم موسى بالالواح بعد تلك المناجاة الالهية التي حظى بها على الطور الذي كان ليسوقه واشمخراره مشرفا على رؤسهم كأنما هو ساقط عليهم ثم أمرهم أن يأخذوا ما آتاهم من احكامها بقوة فلا يستخفوا بأمرها ولا يتعاسوا عن اتباعها. وهل يظنون أن الايمان هو تلك العبارات التي تلوكها الالسن وتمتلئ بحروفها الاشدق ؟ انما الايمان بكتب الله وآياته أن تحفظ وتوعى وان يطمأن اليها وينتفع بها وان تصدق وعودها وإيعاداتها . فكيف تصح دعوى اولئك المبطلين المسرفين في اللجاج والعناد انهم مؤمنون بما انزل الله من كتاب . فاذا كان ما يأتونه من الشرك والفاحشة هو ثمرات ايمانهم اذا لبس ما يأمرهم به ذلك الايمان المزعوم . وما كانوا في الواقع بمؤمنين .

ولا يخفى ان هذه الآيات الكريمة قد سبق ورود مضامينها في الايات السالفة فليذكر القارئ ما أسلفناه من القول في بيان سبب تكرار بعض قصص القرآن الكريم وامثاله واحكامه .

ولتثبت قدم المسلمين في هذه المسئلة التي كانت في نظر الباحثين على وضوحها من غوامض مشكلات القرآن نجمل هنا رأينا الذي أسلفناه آنفا وخلصته أن القرآن الكريم تنزل على الرسول عليه السلام في نحو ثلاثة وعشرين عاما ولقد كان قوله تعالى (واقفوا يوما ترجعون فيه الى الله - الايات -)

آخر آي القرآن نزولا (١) وكان بين نزولها ووفاة المصطفى الاكرم واحد وثمانون يوما أو تسعة أيام على خلاف في ذلك .

كان القرآن ينزل خلال ذلك العمر الطويل نجوما نجوما امالتقرير حكم أو لضرب مثل او لاجابة سائل أو لبيان قصص الامم الاولى واحوالها عبرة وتذكرة للآخرين .

وقد سبق لنا ان الكتاب والشعراء في كل وقت يكتبون في الغرض الواحد المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة ولم يعتبر أحد ذلك تكرارا منهم لما يكتبون أو يشعرون فما بالناس بكتاب الله الكريم الذي استغرق في تنزله زهاء عشرين عاما والذي ما أوحى الله به الا ليهدم بآياته صروح الشرك ويقيم بمئين احكامه وقويم آدابه منار العلم والعدل والحضارة والحياة الطيبة (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

أما منشأ ما وقع للباحثين في القرآن الكريم من الخلط والتخبط فانما هو كما اسلفنا توهم ان القرآن كتاب استغرق في تكوينه ووجوده شهرا أو نحوه على نحو ما يفعل بالكتب المؤلفة .

ولو أن سيد الكائنات كان ذا علم ودرس لا يمكن وقوع الريب في

(١) في الاتقان بعد ان سرد الخلاف في اى الآيات آخر في النزول آية واتقوا يوما أم آية الربا أم آية الدين قال السيوطي انها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولانها في قصة واحدة . ثم روى في بيان آخر الآيات نزولا اقوالا اخرى ليس هذا موضعها .

كيفية تنزل القرآن عليه ولكنه كان اميلا يقرأ ولا يكتب (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . اذا لارتاب المبطلون) وهل لاحد من حجة عليه بعد أن تحدى قومه بقوله (فقد لبث فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون) اذا فما كان المصطفى عليه السلام مؤلفا للقرآن ولا واضعاه (ان هو الا وحى يوحى) .

على أن الرسول عليه السلام كان آونة يجيب سائليه بنص ما اجاب به غيرهم من قباهم أو يتلوفى مقام التذكير والتنبيه من الآيات ما سبق نزوله لبعض مقتضيات الاسباب . وقد يسمى الباحثون في علوم القرآن ذلك تكرارا للنزول وما هو في الواقع سوى تكرار ايراد ما انزل من الآيات او السور لتكرار وقوع ما يشبه اسباب نزولها من الحوادث والمقتضيات . قال الزركشى في البرهان قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه وخوف نسيانه ثم ذكر منه آية الروح (١) وقوله تعالى اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل . قال فان سورتي الاسراء وهود مكيتان وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا بالمدينة ولا اشكال لأنهما نزلتا مرة بعد اخرى . . . الى ان قال والحكمة في ذلك كله انه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة يقتضى نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها فيوحى الى النبي تلك الآية عينها تذكير لهم بها وبأنها تتضمن هذه اه

وقد علمت مما اسلفنا أيضا أن تكرار الحوادث والاسباب قديفضى الى

(١) (يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا) انظر مبحث تكرار السور والآيات من كتاب الاقنانه

نزول آيات أو قصص أو أمثال متغايرة الاسباب متحدة المقصد والغاية . وما ذكرنا هنا يعلم ان الآيات أو السور اذا تكررت بنصها وفصها فانها لا تكون وحيا جديدا وانما هي ما سبق نزوله اعيدت تلاوته لتكرر ما يشابه اسباب نزوله من الحوادث والمقتضيات .

ومما يجب التنبه له أن المفسرين جاءوا في بيان هذه الآية وذكر العجل وما فعله بنو اسرائيل بكثير من الآثار اليهودية التي شوها بها القرآن الكريم تشويها . فمن ذلك ما رووه عن السدى أن موسى أخذ مبردا فذبح به ذلك العجل ثم ذراه في البحر فلم يبق بحر يجري يومئذ الا وقع فيه شيء منه ثم قال لهم موسى اشربوا منه فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب . ورووا في أمر بني اسرائيل وهذا العجل آثارا اخرى كثيرة . وكل ما نعرفه من أمر هذه الآثار أنها من اوضاع الاسرائيليين و كاذبيهم وهي تكاد تشبه القصص الخرافية التي تقصها النساء العجائز على الاحداث الصغار كل ليلة قبل هجوم النعاس عليهم . ولو أن رواية تلك الخرافات فقهوا معنى القلوب لما أثوا بهذه المضحكات للعقلاء المبكيات لأهل القرآن من المسلمين .

جهل اولئك ان القلوب اوعية للدماء فظنوا أن الاغذية والاشربة تنتهي اليها وهنالك أخذوا يتخرسون أو يروون مالا يعقل من المفتريات فقالوا ما قالوا . ولو أن الكتاب الكريم أراد ما قصوه علينا لقال واشربوا في بطونهم أو في معدهم العجل . ومن هذا قول النابغة في زوجته

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

فاذا ذكر القلب أو القوادفان في ذلك ما يدل على أن الاشرب أو المتغفل انما علاقتهما بالشؤون المعنوية كالحب والبغض ونحوهما لا بالشؤون المادية كالاكل والشرب

قال الشاعر (١)

اذا ما القلب اشرب حب شيء فلا تأمل له عنه انصرافا

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

ومن المباحث التي أفاض فيها المفسرون (١) على غير طائل واخذوا يوردون المجاذلات بين المعتزلة وأهل السنة في تحقيقها بيان من الذي أشرب قلوب بني اسرائيل حب العجل . الله تعالى ام سواه ؟ ولو تدبروا نظام الآية الكريمة لما زجوا بانفسهم في هذه المضايق التي خلقوها بايديهم لأول الامر وذلك ان الذي أشرب قلوب بني اسرائيل حب العجل انما هو كفرهم كما تدل عليه نفس الآية . واعتبر ذلك بقول القائل اعجبت بذكائك فان المراد أعجبنى ذكاؤك فالباء في قولنا بذكائك وقوله تعالى بكفرهم انما هي داخلة على الفاعل بعد أن بنى الفعل لغير فاعله

فالآية لا جرم واضحة قويمة في نظمها ومعناها ولكن كأن القوم يريدون تحميل القرآن من التأويل والتكلف ما لا يناسب اعجازه البلاغي ومرتبته في الفصاحة أرتنا تلك الآيات الكريمة كيف أمعن أهل الكتاب في عصيان الله والشرك به اذ جاءتهم البينة وتنزلت عليهم الاواح فظلموا وعتوا وعبدوا العجل وسفكوا الدماء . ثم نجد في مواطن اخرى من القرآن أنهم يزعمون مع ذلك تارة أنهم أبناء الله واحباؤه واخرى أنهم لن تمسهم النار الا أياما معدودة . وطورا يقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو

(١) تفسير الألوسي جزء اول - صفحة ٢٦٨

(٢) الجزء الاول من تفسير الرازي صفحة ٤٣٤

تضارى وطورا آخران لهم الدار الآخرة ونعمة الجنة خالصة لهم من دون المؤمنين . لهذا جاء في مجادلتهم وافحامهم قوله

(قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من)

(دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه)

(ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين . ولتجدنهم)

(احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم)

(لو يمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر)

(والله بصير بما يعملون .)

(قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن)

(الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين .)

(من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال)

(فان الله عدو للكافرين .)

جاءت هذه الآيات الكريمة في مجادلة أهل الكتاب وتجييبهم واخراس الستهم عما كانوا يتججحون من الدعاوى والمزاعم .

تضمنت هذه الايات الرد على دعويين كاذبتين كانت اليهود تكثر من ايرادها محاكمة ولجأ احداها قولهم ان الدار الآخرة ولذا نذرها واطايب حياتها انما هي لهم خاصة دون سواهم من الناس (ثانيتهما) قولهم انهم اعداء جبريل الذي ينزل بالوحي على قلب رسولنا سيد الكائنات

فهم لا يتقبلون ما ينزل به من كتاب الله وآياته

أخرج ابن أبي شيبة في مسنده وابن جبير وابن أبي حاتم عن الشعبي أنه دخل عمر بن الخطاب مدراس (١) اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب. وميكائيل صاحب الحصب والسلام فقال ما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولا تتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني بعد ذلك أصلب من الحجر ورووا في الباب أحاديث أخرى لم يوجد لها سند (٢) أما إفحام اليهود في دعواهم الأولى وهي أن لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس فقد افحمهم ونقض تمسكهم بها تحدى الرسول عليه السلام أيهم إذ قال لهم فتمنوا الموت أي قدروه لأنفسكم إن كنتم صادقين.

اشتهر اليهود منذ القدم بحب الدنيا والنفور من الموت حتى أنه ليس لهم من الشجاعة والاقدام ما يهون عليهم غمرات المجالدات والملاحم فهم لا يحملون سلاحا لتأييد دين ولا لنصرة حق ولا لحماية كرامة. ولقد اشتد حرصهم على الحياة الدنيا حتى لا يكاد ينافسهم في ذلك حتى

(١) المدراس بكسر الميم صاحب دراسة كتب اليهود وكذلك البيت الذي

يدرسون فيه. ورد هذان المعنيان في أحاديث مختلفة.

(٢) تفسير الألويسي - صفحة ٢٧٢

المشركون الذين لا يقولون بالحياة الآخرة ولا يتجسسون بأن لهم نعيمها خالصا لا يشاركونهم فيه أحد والذين قالوا (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) إذاً فماذا قعد بأولئك اليهود عن النزال والطعان وخوض غمرات الموت في سبيل دينهم وكرامتهم إذا كانت لهم الدار الآخرة دون سواهم؟

لنعتبر آثار العقائد الصادقة الراسخة في المسلمين فأننا نرى كيف يقدم الرجل منهم على الموت في سبيل نصرة الحق وهو يعلم أن الموت إن هو إلا سبيله إلى الجنة الخالدة والنعيم المقيم.

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) وكان عبد الله بن رواحة ينشد وهو يقاتل الروم

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

أما اليهود فانهم ينفرون من الموت ولا ينهضون لحمل السلاح واحتمال المجالدة والكفاح لأنهم يعلمون أنهم آثمون خاطئون وأن أمامهم من الحساب العسير مالا قبل لهم به. وما تدللهم على الله واندماجهم في زمرة إبنائه وأحبائه ودعواهم آوثة أن النار لن تمسهم إلا إياما معدودة سوى مزاعم كاذبة وأقاويل ملفقة فهم لا يقدررون لأنفسهم الموت بعرضها على أحوالهم والخوض بها في غمراته ولكنهم لا يزالون يفرون منه وهو ملاقيهم فلا يموتون إلا حثف أنوفهم ولو استطاعوا لودوا أن يعمر أحدهم ألف سنة وما هو بمنزلة من العذاب أن يعمر. وكيف يدرا عنهم العذاب إن تطول أعمارهم أو يتقادم عهد سيئاتهم (والله بصير بما يعملون)

ونظير هذا ما جاء في سورة الجمعة من قوله تعالى (قال يا أيها الذين

هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين. قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملائكتكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقال تعالى

(ألم تر الى الملائكة من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم ان يقاتلوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) وقال تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بالجنود قال الذين يظنون انهم ملائكة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقال حكاية عنهم (قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون)

ولقد فسرنا التمتع هنا بمعنى التقدير وهذا معروف في اللغة العربية وهو مأخوذ من مني بمعنى قدر كما قال الشاعر وهو ينشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

لا تأمن وان أمسيت في حرم حتى تلاقى ما يعنى لك المسمى
فالشر والخير مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان
والمعنى فيما هو ظاهر حتى تلاقى ما يقدر لك المقدر وهو الله تعالى (١)

اما حمل التمتع عن غير هذا المعنى فهو مما ياباه نظام القرآن وتنفرد به بلاغته ومالا ينبغي أن يسبب المفسرون في تأويله وتصحيح عليه . ولقد اطلالوا في مناقشة الآية

هذه واكثروا من الاعتراض عليها والاجابة عن شكوكهم وتشكيكاتهم وما علموا انهم بذلك يقدمون لزعماء المسيحيين وقساقتهم من المجادلات في القرآن مجالا فسيحا للطعن فيه والخط من كرامته وعلو منزلته . واعجب من هذا كله ان القوم اذا خاضوا في تأويل فانهم يحاولون تأييده بما يروون من الآثار المشاعة او الاحاديث الموضوعة فيزيدون بذلك الطين بلة والخطأ مضاعفة . ولو ان التفتي بمعناه الذي شرحه المفسرون كان واضحا لا شبهة فيه لما روى عن ابن عباس تفسيره التفتي بالسؤال والطلب مع انه غير معروف بمعنى المسألة في كلام العرب (١) وتمثل الآية الكريمة الرد على اليهود في زعمهم انهم اهل كتاب وان لهم الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس بان جعلتهم من المشركين كما وكدت فرط حرصهم على الحياة . ولا ريب أن توحيد الله والايمان برسوله لا يجامعهما ما فعله بنو اسرائيل من عبادة العجل واعتبارهم عزيزا ابنا لله تعالى فان هذا من الشرك الصراح . وعلى هذا المعنى حمل ابو مسلم الآية الكريمة فنظامها في رأيه ان الله تعالى يقول لرسوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة وكذلك لتجدنهم من الذين اشرکوا وهذا التأويل وجيه مقبول .

فلنتكلم الآن في تنفيذ الضلالة الثانية التي ركبها اليهود ملاحة وعشا فنقول ان بنى اسرائيل كانوا في جدال مع النبي أو مع عمر بن الخطاب في أمر جبريل فكانوا يقولون انه عدونا الى آخر ما ذكرنا آنفا فنزلت آية قل من كان عدوا لجبريل (الآية)

وخلاصة حجة القرآن عليهم ان أصل شرائع الله تعالى واحد وهو توحيد الله تعالى بالالوهية وتحريم الفاحشة ما ظهر منها وما بطن والاثم والبنى بغير الحق . اذا فلا فرق في ذلك الغرض بين كتب الله وايجاءاته ولا

بين متقدم ومتأخر من رسله ولا بين جبريل وغيره من ملائكته . فمن عادى رسولا من رسل الله فقد عادى سائر الرسل ومن حارب نبيا من انبيائه أو أنكر شيئا من كتبه فقد شاق الله وحاربه

(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم اولئك سوف تؤتيهم اجرهم وكان الله غفورا رحيما)

فايمان بنى اسرائيل ببعض الانبياء دون بعض كفر محقق كما أن معاداتهم لجبريل كذلك اذ أن جبريل انما كان يتنزل بالامر من قبل الله تعالى لا من تلقاء نفسه (وما ننزل الا بأمر ربك . له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك)

فتنطع بنى اسرائيل في مناظرة المصطفى ومجادلتهم اياه في أمر جبريل وفرقتهم بين ملائكته تعالى انما هي رقاعة وكفر ساقطهم اليهما بغضهم للحق وفرط حرصهم على الحياة الدنيا وخوفهم ان يفضلهم غيرهم من العرب بالسبق الى الاسلام والجهاد في سبيله اذ اهاهم دانوا بالقرآن وآمنوا بمحمد . ولولم يعم الضلال ابصارهم لعلموا ان جبريل انما هو روح القدس الأمين يتنزل بالآيات القرآنية على هذا الرسول الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ليمين للناس ما نزل اليهم من الاحكام والاخلاق والآداب والقصص والمظالم (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (١)

واعلم ان في مسألة القرآن الكريم والخلاف فيه قدما وحدوثا وهل هو من كلام الرسول وهل ما بين دفتي المصحف هو كلام الله الى نحو ذلك مباحث طويلة متشعبة اغرق فيها السلف وتبعهم على ذلك الخلف فما زالوا يختلفون فيه (وأن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) .

لقد يجمل بالباحث ان يعلم ان آيات القرآن نفسها جاءت مبنية بكل وضوح كيف نزل القرآن على رسولنا صلى الله عليه وسلم تشعر بعض الآيات ان القرآن هو كلام الرسول عليه السلام (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر . قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن . قليلا ما تذكرون) (١) ومن هذا أيضا آية (٢) (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين)

ومن الآيات ما يدل على ان القرآن انما هو وحى من لدن الله انزله على رسوله تنزيلا نحو (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) (٣) ونحو (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) (٤) ونحو (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى) (٥) واذا شاء الباحث ان يعلم كيف نزل القرآن على محمد وكيف كانت تنزل الكتب على من سبقه من الانبياء عليهم السلام فان الآية التي نحن بصددتها تبين لنا جدا كيف يرسل الله وحيه الى رسله .

ان نزول وحى الله انما يكون على قلب الانبياء وعقولهم فهو الهام من الله تعالى لهم بما يريدونهم الى تبليغه الناس من رسالاته واحكامه

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لنفى ضلال مبين)

فلم يشغل الرسول قبل نبوته بالدرس والتحصيل ومناقشة الخطباء
والشعراء في ميادين الفصاحة والبلاغة . ولكنه منذ جاءته النبوة كان
الله تعالى يلقي في روعه (١) الآية والآيات من قرآنه بصورتها العربية
وترتيبها وتنسيقها الذي نتلوه اليوم ونرتله فكان صلى الله عليه وسلم
يجرى بها لسانه الذي هو ترجمان القلب والمغرب عما فيه (وازلنا اليك
الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (٢)

فلم يكن قيام آيات القرآن بنفس الرسول وانطباعها في قلبه على نحو
ما يشعر أحدنا اذا أخذ في وضع رسالة أو تقصيد قصيدة فاننا لنؤلف
الكلام تأليفا وتنسقه تنسيقا مستعنيين في وضعه وترصيفه واحكامه
بما سبق لنا تحصيله من المعلومات والحقائق عارضين اياها على ما نعرف
من المسائل العلمية أو الفنية أو الاجتماعية أو الموازين المنطقية . فلا
نزال نفكر ونقدر ونمحو ونثبت حتى نحكم ما يقوم بافتدنا من الصور
الذهنية والعبارات النفسية وهنالك تقوم فنترجم عنها بعباراتنا اللسانية
التي لا بد أن تأتي مطابقة لتلك العبارات القلبية معنى وترتيباً ووضعاً
ان الكلام لنفي القواد وانما جعل اللسان على القواد دليلاً

ذلك شأننا نحن الدارسين المحصلين . امارسولنا الذي قضى جل حياته
ايلاً لا يقرأ ولا يكتب فانه لم يكن حصول العبارات القرآنية في قلبه
وقيامها بنفسه على النحو الذي نجده في انفسنا فانه كما علمت لم يسبق له

وعظاته (فانه نزل على قلبك باذن الله مصداقاً لما بين يديه)

ومما لا مصرية فيه ان النقوش التي تحويها المصاحف محدثة وكذلك
ما كان يتلوه صلى الله عليه وسلم من الآيات بلسانه وقد جاء القرآن
بتسمية ما يرد فيه نفسه من الذكر محدثاً في قوله (ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وقوله (ما يأتيهم من ذكر
من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين)

ولا يستنبط من هذا ان القرآن هو كلام النبي على انه هو ناسج
بردته ومبدع سبكه وصياغته أو انه هو المؤلف لعباراته والمحكم لبديع
آياته او انه هو المخترع لقصصه الواضع لأحكامه فقد كان صلى الله عليه
وسلم رجلاً امياً لا يقرأ ولا يكتب (وما كنت تتلون من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك)

لبث في قومه قبل نبوته أربعين عاماً لم يعرف فيها بشيء مما كانت
العرب تتنافس فيه من ضروب الشعر والخطابة .

نشأ وعاش في أمة أمية لا تعرف غير الجهل والوثنية والحياة الهمجية .
عاش فيها ذلك العمر فلم يعرف فيها الا بالصدق ومكارم الاخلاق
والوفاء والامانة ولكنه ما عرف بالعلم أو الدرس أو الامام بشيء من
قصص الامم الغابرة أو معرفة الاحكام التعاملية أو أبناء الدار الآخرة
فلما بلغ الأربعين من عمره فتح الله لسانه بالفصاحة المعجزة وملا

قلبه بالعلم والحكمة (وعلمك ما لم تكن تعلم) ثم ارسله الله الى قومه ثم
الى الملا قاطبة مبشراً ومنذراً (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم

عهد بعلم ولا حكمة ولا عرف بدرس ولا تحصيل فالعبارات
القرآنية بنصها وفصها المألوف اليوم كانت تلقى في قباة دون كسب ولا
اختيار ولكنها كانت وسيا يوحى والهاما يلقى اليه كما نشاهده اليوم
اسلوبا ومعنى فكان صلى الله عليه وسلم يترجمها بلسانه فتقلب عبارات
لفظية بعد اذ كانت عبارات نفسية .

وعلى هذا يصح اعتبارها منزلة من لدن الله تعالى وانها قول رسول
أمين وانها ذكر من الرحمن محدث الى نحو هذا مما وردت به الآيات
الكريمة على نحو ما رأيت آنفا .

ومما يجب التنبيه له هنا ان المفسرين رووا في أسباب نزول هذه
الآية آثارا واحاديث حجة ولم يختلطوا غفر الله لهم اذ جعلوا ينقلون
منها ما ضعف رجاله او عرف بالكذب بعض رواته وكذلك ما بعد عن
الصحة معناه وما نافر الذوق والعقل السليم مغزاه . ولم يراعوا سماعهم
الله ما ينجم عن رواياتهم هذه من الاثر السيء والصورة القبيحة التي
قد تشكك المسلمين في دينهم وتحمل أعداء الاسلام على الطعن في مأخذ
والتشهير بسيدنا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

تصفحننا أساطين كتب التفسير كابن كثير وابن جرير والالوسي
والفخر الرازي فوجدنا لهم في هذا الباب من الاحاديث ما يمكن
القول بانها لم تبلغ حتى درجة الحسن وكيف ومن رواها يونس بن بكير
بن واصل الشيباني الذي ضعفه النسائي وقال ابو داود انه ليس بحجة .
ومن رواها الحسين بن محمد بن المروزي وهو كما قال ابن حجر مجهول

(١) ومنهم محمد بن اسحق بن يسار . وفي أمره سأل الاثرم أباه فاجابه
انه كثير التدليس وقال عبد الرحمن سمعت ابي يقول محمد بن اسحاق
ليس عندي في الحديث بالقوى بل ضعيف الحديث .

ومنهم عبد الله بن الوليد العجلي وفيه يقول علي بن المديني انه مجهول
لا أعرفه . وقد قال بتوثيقه بن معين (٢) .

ولو أن تلك الاحاديث وردت في باب الفضائل ومكارم الاخلاق
والادب لهان على النفس الصبر عليها وحسن في الجملة النسكوت عنها
ولغفرنا للمفسرين ايرادها في تفاسيرهم وحمل القرآن عليها وبيان الآيات
الكريمة بها ولكن كيف يجوز ذلك وقد اشتملت على مباحث علمية قد
يثبت الواقع منافرتها للحقائق العلمية الثابتة والبراهين والمنطقية التجارب
والمشاهدات فمن ذلك ما رواه احمد (٣) عن عبد الله بن الوليد العجلي
عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اقبلت اليهود
على رسول الله فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن خمسة اشياء (الى ان قال)
سألوه ما هذا الرعد فقال هو ملك من ملائكة الله عز وجل موكل
بالسحاب بيديه يخرق من نار يزر به السحاب يسوقه حيث أمره
الله تعالى . قالوا ما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال صوته قالوا صدقت .
نجد في سند هذا الحديث عبد الله بن الوليد العجلي وقد علمت مما
اسلفنا مبلغ ضعفه ثم نتدبر معناه فلا نعرف كيف يجمع هذا ما أثبتته

(١) صفحة ٤٤٠ من كتاب اسماء الرجال للخزرجي الانصاري

(٢) تهذيب الكمال في اسماء الرجال لجمال الدين بن يوسف

(٣) صفحة ٢٢٢ من الجزء الاول من تفسير ابن كثير الذي بحاشية تفسير

المشاهدات العلمية والبراهين المسلمة من أن الرعد وصوته إنما هو واحد
النتائج الطبيعية المتولدة من اتحاد ما في السحب من القوى الكهربائية
سالبها وموجبها كما أن البرق هو الضوء الملازم للرعد الناتج أيضا من
اتحاد تلك القوى الكهربائية فلا الرعد بالملك الموكل بالسحاب ولا البرق
مخراق من نار في يده .

ولقد يعرف اليوم هذه الحقائق اصغر الطلاب في المسكاتب والمدارس
فما عسى أن يكون أثر هذا الحديث واشباهه في نفوس الاجيال
الاسلامية التي استضاءت عقولها بانوار العلم والعرفان .

ماذا عسى ان يكون أثرها ساعة تعرضها العقول السليمة على محك
الحقائق فتجدها زيفا نبهرجا

ماذا عسى أن يكون تأثيرها اذا اطلع عليها القساقسة ومحاربو
الاسلام من المبشرين ؟ ثم ماذا عسى أن تكون حجة غير الباحثين من
المسلمين اذا رووا هذه الاحاديث معزوة الى ائمة الحديث كاحمد بن
حنبل ومنقولة عن اساطين علماء التفسير كالرازي وابن كثير وابن
جرير ؟ لا جرم أن ذلك سيعتبر من الدين الاسلامي وحقائقه فيفضي
ذلك بالطبع الى اساءة الظن بهذا الدين القويم وبصدق صاحبه سيد
المرسلين . ولكم نفرت امثال تلك الاحاديث والآثار التي لم تصن الشريعة
الاسلامية والسنة المحمدية عن ادراجها نفوس الفئة المستتيرة من المسلمين
وحملتهم على الشك والارتياب في دينهم وفي صدق نبيهم كما انها فتحت
لمحاربي الاسلام كثيرا من ابواب المطاعن والتشهير . ولو أن كتاب الله
تعالى لم يقرن في بيانه بامثال تلك الآثار ما عرف اعداؤه أي باب

يلجون في تقدمه والخوض في آياته

على انه كيف يستند اولئك في امور الدنيا وايضاح العلل الطبيعية
على الاحاديث وكيف يفسرون بها آيات القرآن ولو بلغت مرتبة
الصحيح مع ان رسولنا الاكرم صلى الله عليه وسلم قد علمنا وظيفة الرسالة
فيما رواه مسلم في صحيحه من الحديث في باب تأييد النخل عن موسى
بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله يقوم على رؤس النخل
فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلحقون يجمعون الذكر في الاثني فتلحق فقال
الرسول ما اظن يغني ذلك شيئا قال فاخبروا بذلك فتركوه فاخبر الرسول
بذلك فقال ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوا فاني انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني
بالظن ولكن اذا حدثكم عن الله شيئا فخذوا به فاني لن اكذب على
الله عز وجل . وفي رواية لمسلم ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال انما أنا
بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من
رأيي فانما أنا بشر . وفي رواية اخرى له أيضا ان الرسول قال اتم اعلم
بامور دنياكم (١) ويحمل بنا هنا أن تقتطف للقراء في هذا الباب فقرات
جاءت لابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة (٢) قال قال بعضهم ما
يخبر به الرسول عليه السلام نوعان احدهما يخبر به عن الوحي فهذا خبر
مطابق لخبره من جميع الوجوه ذهنا وخارجا وهو الخبر العصوم والثاني
ما يخبر به ظنا من امور الدنيا التي هم اعلم بها منه فهذا ليس في مرتبة
النوع الاول ولا تثبت له احكامه . وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن

(١) صفحة ٤٤ من رسالة الاسلام دين الفطرة لصاحب المجلة

(٢) صفحة ٢٨٢ من الجزء الثاني من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٥ هجرية

نفسه الكريمة بذلك تفريقا بين النوعين فانه كما سمع أصواتهم في النخل
يؤبرونها وهو التلقيح قال ما هذا ؟ فاخبروه بانهم يلقحونها فقال ما ارى ؟
لو تركتموه يضوء شيئا فتركوه فجاء شيئا فقال انما اخبرتكم عن ظني
واتم اعلم بأمور دنياكم ولكن ما اخبرتكم عن الله . والحديث صحيح
مشهور وهو من ادلة نبوته واعلامها وكيف لا وقد خفي عليه مثل هذا من
أمر الدنيا وما أجرى الله به عادته فيها ثم جاء من العلوم التي لا يمكن
البشر ان يطعن عليها البتة الا بوحى من الله فاخبر عما كان وعما يكون
وما هو كائن من لدن خلق العالم الى ان استقر اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار وعن غيب السموات والارض وعن كل سبب
دقيق وجليل تنال به شقاوة الدارين وعن مصالح الدنيا والآخرة
واسبابها مع كون معرفتهم بالدنيا وامورها واسباب حصولها
ووجوه تمامها اكثر من معرفته هو كما انهم اعرف بالحساب
والهندسة والصناعات والفلاحة وعمارة الارض والكتابة .
فلو كان ما جاء به الرسول الاكرم مما ينال بالتعليم والتفكير والتطير
والطرق التي يسلكها الناس اكانوا اولى به منه واسبق منه اليه لان اسباب
ما ينال بالفكر والكتابة والحساب والنظر والصناعات بأيديهم فهذا من
اقوى براهين نبوته وآيات صدقه وان هذا الذي جاء به لاصنع للبشر فيه
ولا هو مما ينال بسعى وكسب وفكر ونظر (الى ان قال) قالوا فلما
تبين له عليه السلام من أمر الدنيا ما أجرى الله سبحانه عادته به وهو
ارتباط هذه الاسباب بعضها ببعض وتأثير التلقيح في صلاح الثمار
اقرهم على تأييد النخل . انتهى ببعض تصرف .

وخلاصة القول انه لم يبلغ حديث ما مما أوردته المفسرون في هذا
الباب مرتبة الصحيح . على انها لو صح منها شيء فما كان منها متعلقا بامور
الدنيا كالرعد والبرق واسبابهما وكشابة الطفل لاحد ابويه ومن أى
المائين يتخلق الجنين اماء الرجل أم ماء المرأة وكيف يكون الجنين ذكرا
او اُنثى وهكذا مما ورد في الاحاديث المروية في هذا الموضوع فان طابق
العقل ولم ينافر المسائل العلمية الثابتة اخذ به والا فلا . هذا على فرض
صحة الحديث فما بالنال اذا كان في رجال الحديث امثال من ذكرنا ممن لم
يعرفوا بالتوثيق وامثال عبد الحميد بن بهرام الفزارى وفيه يقول صالح
بن محمد الدميرى الحافظ انه ليس بشيء وان عنده صحيفة منكورة .
هذا ومما يشعر له جسم المسلم وتضج منه السمة النبوية والقرآن الكريم
ما روى في هذا الباب من أن هذه الآية نزلت على لسان عمر بن
الخطاب . ويذكر المفسرون في ذلك اسانيد ثم نرى من بين رواها
الامام احمد بن حنبل . ولا ريب ان نزول القرآن على السنة أحد
الصحابة امر لا يقبله العقل ولا يقول بتجويزه سوى الاغرار الذين
لا يدركون معنى ما يقولون والذين لا يستطيعون معرفة ما يجلبون على
الدين الاسلامي من الاخطار والمثالب بما يرجعون من القول الهراء
والسخافات الممقوتة . والعجب جد العجب ان يعقد صاحب الاتقان
لهذا الموضوع فصلا مخصوصا عنه بقوله . (فيما نزل من القرآن على
لسان بعض الصحابة) ثم اخذ يسرد آيات زعم انها نزلت على السنة
طائفة من الصحابة . فعل ذلك دون تخرج ولا تحوط ولا تفكر في
عاقبة ما اقدم عليه وانه كيف ينقص بذلك من كرامة القرآن ومقداره .

وهو الآية المعجزة التي كم تحدى النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب
القادرين والخطباء المفوهين ان يأتوا بسورة من مثله والتي نجد منها
في كثير من سور القرآن آيات ناطقة بان القرآن لم ينزل الا على قلب
رسوله ولم يكن وحيا وحي به (ان هو الا وحي يوحى علمه شديد
القوى) . وفيما ذكرناه هنا كفاية على أننا سنفرد بابا خاصا لمناقشة ما
روى في هذا الباب من الاحاديث وبيان ما في أسانيدھا من الجرح
والتعديل وسنرى فيما بعد كيف أفرط المفسرون في التساهل وعدم
التحوط حتى اعتمدوا على روايات رجال لم يجمع على توثيقهم مع ان
هذا الباب ليس مما يؤخذ فيه بقول من فيهم مطعن لطائن من المحدثين
هذا وبعد ان بينت الآيات السالفة كيف أن بنى اسرائيل ابوا ان
يؤمنوا بمحمد بن عبد الله وكيف جعلوا يتتحلون ما زين لهم عنادهم
وكفرهم من الاسباب الواهية والعلل المردولة اخذ الكتاب الكريم
ببسط لنا رذيلة اخرى من رذائلهم التي كانت من اسباب هلاكهم وخزيهم
الخالد فقال

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ
(بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ
(فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
(الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .)

(وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ
(وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ
(عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ . وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ
(حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
(بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ . وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا
(بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ
(اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ . وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
(أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ
(عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .)

تضمنت هذه الآية الكريمة ان اهل الكتاب على علمهم بحقيقة
ما انزل الله من الحقائق والاحكام في توراتهم كانوا يبنذونها وراء ظهورهم
كانهم لا يعلمون ولا يفقهون . ذلك ان جحودهم وافرطهم في كفرهم
لم يكن قاصرا على ما نزل به الوحي على عيسى او محمد فقط بل انهم تعدوا
ذلك حتى لقد كانوا ينكرون ما جاء من آيات القرآن مصدقا لما معهم من
آيات التوراة ومؤيدالها (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) فلم يقف
جحودهم عند ما لم يسبق لهم به علم بل لقد انكروا حتى ما كانوا يعلمون
كانهم سلبوا القوة المدركة فلا يفقهون ولا يعلمون .

نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ثم اخذوا يتبعون ما تلو اى تكذب (١)

(١) رواه الرازى عن ابى مسلم وقال تلا عليه اذا كذب وتلا عنه اذا صدق

شرار الناس (٢) على سليمان من انه لم يحرز ملكه الا بالسحر واستعمال
البخور والرقى والكهانة

قال محمد بن اسحاق بن يسار عمدت الشياطين (اى شياطين الانس)
حين عرفت موت سليمان بن داود فكتبوا اصناف السحر نحو من كان
يجب ان يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا حتى اذا صنفوا اصناف السحر
جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في
عنوانه هذا ما كتب آصف ابن برخياء الصديق للملك سليمان بن داود
من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا
بنى اسرائيل حتى احدثوا ما احدثوا فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان
ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه فليس
هو في احد اكثر منه في اليهود فلما ذكر الرسول فيما نزل عليه من
الله سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة
من اليهود الا تعجبون من محمد يزعم ان بن داود كان نبيا والله ما كان
الا ساحرا فانزل الله في ذلك من قولهم (واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر

واعلم ان المفسرين في هذا الموضع اتوا باحاديث وروايات واسانيد
لو علموا مقدار ما جلبوا بها على القرآن والاسلام من المصايب لخطوا
اقلامهم دون تسطير شيء منها

ولقد بلغ ما سجلوه من طرق تلك الآثار واسانيدها نيفا وعشرين

(٢) كما في قوله تعالى (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن)

وهي على كثرتها يقولوا اتاضي عياض بانكارها (١) وذكر ان ما رواه
اهل الاخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت لم يرد منه شيء
لا سقيم ولا صحيح عن رسول صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ
بالقياس .

وذكر في البحر ان جميع ذلك لا يصح منه شيء . ولم يصح ان رسول
الله أو ابن عمر كان يلعن الزهرة خلافا لمن روى ذلك . وقال الرازي بعد
ذكر الرواية في ذلك ان هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة .

ونص الشهاب العراقي على ان من اعتقد في هاروت وماروت انهما
ملكان يعدان على خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله تعالى فان الملائكة
معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون . والزهرة
كانت يوم خلق الله السموات والارض فالقول بانها تمثلت لهما فكان ما
كان وردت الى مكانها غير معقول . قال الالوسي بعد ذلك وذهب بعض
المحققين بان ما روى في هذا الباب مروى حكاية لما قاله اليهود وهو
باطل في نفسه لا يصح منه شيء وبطلانه في نفسه لا ينافي صحة انهارويت
عن ابن عباس وغيره لا على انها من السنة والحديث ولكن على انها مما
كان يقول اليهود .

ثم قال الالوسي ومن قال بصحة هذه القصة في نفس الامر وحملها
على ظاهرها فقد ركب شططا وقال غلطا وفتح بابا ينكس راية الاسلام
ويرفع رؤس الكفرة الطغام .

يوخذ مما اسلفنا ان هاروت وماروت لم يكونا ملكين بفتح اللام
ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس والحسن وابي الاسود والضحاك ملكين بكسر
اللام فقراءة فتح اللام محمولة على قراءة الكسر قال بعض العلماء (١) هما
رجلان الا انهما سميا ملكين باعتبار صلاحهما الذي كانا يظهران وقال
الحسن انهما عابجان (٢) كانا ببابل العراق

وخلاصة القول ان هاروت وماروت كانا رجلين تظاهرا بالصلاح
والاستقامة في بابل العراق او ببابل اخرى على خلاف في ذلك فلما
استرعيا ابصار أهل ذلك الجبل وتمكن جبهما والثقة بهما من قلوبهم
جعلنا يعلمانهم السحر والكهانة ولا استبقاء ما احرزاه بينهم من المنزلة
كانا كلما علماهم شيئا من ذلك شفعاه بقولهم (انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) يقصدان بذلك الا
يخالج احدا من مستمعي وساوسهما وتخرباتهما شيء من الريب فيهما
واستدرارا لما كانا يقتنضان باحاييل تلك التموهيات والا كاذب من
اموالهم فكان الناس يعتقدون انهما ينزل عليهما السحر بوحي من الله
والهام (٣) وامثال هاروت وماروت موجودون مشاهدون في كل مكان
وزمان. اما تسمية الصالحين او المتظاهرين بالاستقامة ملائكة فان ذلك
من عادة أهل الكتاب منذ القدم ولطالما سمعنا المسيحيين كلما ارادوا

(١) تفسير الالوسي - جزء اول - صفحة ٢٨٠

(٢) الملج القوى الضخم او الرجل من كفار العجم

(٣) ومن ذلك قصة ارجعيانوس الموسيقار سردناها آنفا

الاغراق في مدح احد بالاستقامة والصلاح قالوا انه (ملاك)
(١) بفتح الميم اي ملك فقول القرآن وما انزل على الملكين ببابل معناه
ان اليهود كانوا يتبعون ما يقولون انه انزل على الرجلين الصالحين اللذين
كانا ببابل يعلمان الناس السحر ويقولان للناس لا تكفروا بما تتعلمون
من ضروب السحر فانما نحن فتنة فقط فكانوا يتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه من الرقى وصنوف السحر ومثل هذا نراه في
الكتب التي وضعت قديما وحديثا في التاريخ اليوناني القديم من
تسميتهم الكواكب ونحوها بالهة الخير والشر وشرهم ما قصته الميثولوجي
من أسرارها واحاديثها وشؤونها ومن اوجاتها وهبوطها وعودها وهلم جرا
وانما كفر القرآن الكريم شياطين الانس الذين كانوا يعلمون الناس
السحر لان ذلك السحر يقتضي رياضات مخصوصة ومناجاة لصنوف
الجن او نفوس الافلاك والكواكب وابتهالات لبعض الارواح الخيرية
أو الشريرة . ولا جرم ان جميع ذلك من عبادة غير الله تعالى والشرك
به . لذلك كفر هؤلاء بما يأتون من ضروب الكفر والشرك وسنفرد
فصولا مستقلة لمسألة السحر وما روى من الآثار اليهودية في شأن
هاروت وماروت فليرتقيها طلاب الحقائق ومبتغوا السنة الصحيحة .
يبد انه لا بد لنا هنا من بيان ان جميع ما اتاه بنو اسرائيل من ضروب
الشرك ونبد كتاب الله تعالى وراء ظهورهم مستبدلين به ما تناقلوه
من أسرار سحر والكهانة وما رووه عن المحرفين والمبدلين من اسلافهم
كل ذلك ظهر في المسلمين منذ اجيال . وكما كان ذلك مدعاة هلاك بني
اسرائيل وتسلط الامم في اطراف الارض عليهم فانه سيكون اصل

(١) لعلة تخفيف كلمة ملاك بمعنى ملك نقلت فتحة همزتها الى اللام ثم سهلت ألفا لينة

انقراض المسلمين وتشتت شملهم وذهاب ريحهم اذا لم يكن من بينهم من يقوم فيدراً عن دين الله وسنة رسوله تلك الاكاذيب والباطيل التي دخلت في الاسلام منذ مئات من السنين .

ولو ان بنى اسرائيل لم يزعموا ان سليمان ما نال ملكه الا بالسحر والكهانة والرقى وتنجير العقاقير لسلخوا السبل الطبيعية للحصول على الملك واقامة حكومات مستقلة ولكنهم قد اعتمدوا في ذلك على ما رووه عن اسلافهم من الابطال والترهات . وما اشبههم في ذلك بما كان يعتقد مسلمو الغرب الاقصى من ان اولياء بلادهم سيحولون دون تسلط احد من الامم عليها حتى لقد كانوا يعززون ما كان من تضارب اعضاء مؤتمر الجزيرة في الرأى وتصادمهم في المقصد الى تأثير اولئك الاولياء ونفوذهم وتصرفهم في قلوبهم .

ولقد انقضى ذلك المؤتمر كما انقضى ثم ائتلف المختلفون ورضيت المانيا بامتلاك فرنسا لذلك الملك العظيم ثم اخذت فرنسا تعبي الجيوش وتهيئ الاسلحة لتحملها الى تلك البلاد توطيدا لدعائم نفوذها وتحقيقا لتقديم امنيتها بعد ان اتفقت مع ذلك الخائن اللئيم عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى . كل ذلك واهل المغرب الاقصى لا يزالون يقولون بتصرف اوليائهم وانهم سيحولون بين فرنسا وبين بلادهم . وكأنا بهم لا يزالون يعتقدون حتى اليوم ان اولئك الاولياء سيخرجون الجنود الفرنسية من ربوعهم بعد اذ القت عصاها واستقر بها النوى .

ومن غريب أمر المسلمين انهم في كل مكان لا يزالون يشتغلون بالسحر والابخرة ويلتمسون الغنى بالتلاوات والاذكار ويحاولون الطيران في الهواء بامثال حزب البروحزب البحر والجلجلوتية

واعجب من ذلك كله انهم اذا دعوا الى فهم كتاب الله والعمل بالسنة الصحيحة القوية التي اختطها الله لعباده المؤمنين مما لا سلامة لهم الا بانتهاجها كانوا كأنما يدعون الى بدعة اوضلالة .

يقرأ القرآن الكريم في كل مكان فهل نجد من مستمعيه من يفكر لحظة في معانيه وهداياته التي سعدت بتابعها سلفنا الاولون؟ ان المسلم اليوم ليسمع الآيات ثم يعرض عنها وينأى بجانبه ولو انه تدبرها لعلم كيف يتقذ نفسه من هذه الارزاء التي الت به واكتسفت من كل جانب . ومن المسلمين من يتلو آيات الله ولكنه لا يقدم على تدبرها تحرجا وهاية لا علوا واستكبارا بل لما سمع من قول العلماء ان باب الاجتهاد قد اغلق ومن قضاهم بتحريم تفهم القرآن والبحث في فنونه استقلالا . فهل مثله اذا سمع القرآن الكريم الا كمثل الذي ينطق بما لا يسمع الا دعاء ونداء .

يعمد هذا الصنف من المسلمين الى القصص والخرافات والبدع والمفتريات فيحشوها دماغه ويجعلها نبراسه في سائر شؤونه وتصرفاته واذا ما دعى يوما الى فهم كتاب الله وتدبر احكامه وتعاليمه رعى الداعي بالابتداع أو الزندقة والكفر واتبع أولئك الضالين المضلين من المنتسبين زورا الى الدين فيما يرجفون وما يتخرون . ولقد افضى الجهل بالقرآن ونبت المسلمين له وراء ظهورهم حدا أصبح فيه القرآن الغازا لا تحل ومعديات لا تفهم ونكرات لا تعرف . فكان من نتائج ذلك ان أخذت النابتة الحديثة التي انفتقت بصائر ابا نوار العلم والدرس تنكر ما يحمل عليه ادعياء المفسرين كتاب الله مما تجب الادلة مكذبة لمزاعمهم فيه ناقضة لا وهامهم .

ولطالما طنحت صدور الباحثين من الشبان بالهواجس والوساوس والشكوك والريب حتى اذا قصدوا بعض زعماء الشيوخ وأئمتهم يستهدون

الفلسفة والأخلاق

ابن رشد وتعاليمه

٤

علم الله بالجزئيات

هذه المسألة من المسائل التي اشتد فيها الجدل وكثرت فيها الحوار بين المتكلمين والفلاسفة حتى أن الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة جعلها إحدى المسائل التي توجب كفر الفلاسفة غير أن الغزالي على ما يظهر لم يقصد إلا إبطال معتقدات الفلاسفة بآية طريقة كانت ولذلك نرى حججه تحوم حول محور واحد وهم مرة بالزندقة وأخرى بالكفر والمروق وإن أتى بادلة فكل بقدماتها سوفسطائية لا يستدل بها من يريد كشف الحقائق والوصول إليها وقيل أن نذكر رأى ابن الوليد تأتي على شيء من مذهب الحكماء ليكون الموضوع اتم وضوحا وأكثر بيانا

يظهر أن الأصل في هذه المشاغبة التي كانت بين الفلاسفة والمتكلمين تشبيه علم الخالق بعلم الإنسان وقياس أحد العلمين على الآخر وذلك أن إدراك الإنسان للأشخاص بالحواس وإدراك الموجودات القائمة بالعقل والعلّة في هذا الإدراك هو المدرك نفسه فلا يشك في تغير الإدراك بتغير المدركات وفي تعدده بتعددتها العلم بالجزئيات يخالف العلم بالكليّات فإن العلم بالجزئيات أو بالأشخاص حتى أو خيال والعلم بالكليّات بالعقل ولما كانت الكليّات ثابتة لا تتغير كان العلم بها لا يوجب تغيرا أما الأشخاص فإن أحوالهم متعددة ومتغيرة فالعلم بها يوجب شيئين تغير الإدراك وتعددته ولكن الكليّات متعددة فالعلم بها يوجب التعدد في العلم. لذلك قال المحققون من الفلاسفة أن علم الله لا يوصف بالكليّة ولا بالجزئية وذلك أن العلم الذي هذه الأمور المتقدمة لازمة له هو عقل منفصل ومعلول والعقل الأول فعل محض وعلّة فلا يقاس علمه تعالى حينئذ بالعلم الإنساني هذا ما كان يراه بعض القدماء ويرى البعض الآخر أن الله تعالى لا يعلم الجزئيات لأنها متعددة ومتجددة وعلمه تعالى قديم لا يتغير.

ولقد كان قول هؤلاء سببا لشن الغارة عليهم من المتكلمين ورميهم بالكفر والمروق من الدين غير أن ابن رشد نظر إلى المسألة نظر مدقق عليم حتى جعل الخلاف بين الفريقين ليس للمعنى فيه نصيب بل هو خلف في التعبير والاصطلاح

قال في فصل المقال .

بهديهم ويستمعون قولهم لا يسمعون منهم سوى بواذر الفحش والسب والتقريع والطعن واللعن والطرده من رحمة الله والحرمان من جنته . وكم رأينا من هؤلاء الشبان من كانوا يصدرن عن مقامات المشيخة في مصر وغيرها وهم بين آلام الشكوك والهواجس وآلام الحزن على الإسلام الذي ابتلى بأولئك الادعاء

لقد ظهر الإسلام غريبا في أهل الشرك والضالين من أهل الكتاب وهو اليوم غريب بين أهله وفي عقر دياره إذا تليت عليهم آية منه ذهبوا عباديد منهم الشاك المرتاب ومنهم المعرض المستكبر ومنهم المتحرج عن الخوض فيه وتدبر آياته وأحكامه ومنهم من امتلأ دماغه بالآوهام وباطل القصص وموضوع الأحاديث ومفتريات الوعاظ حتى لم يبق في دماغه موضع سنبرة مستعدة لقبول شيء من صحيح العقائد وصادق القول ومن غريب أمر الآثار الموضوعية والمفتريات الملفقة الماصقة بالإسلام أنها هي المحفوظة في الصدور المروية في المجالس المتلوّة باللسنة في كل بلدة وفي كل بقعة من الأرض

ومما يحزن له قلب المسلم الغيور على دينه أنه ما جلب ذلك الأذى إلى الإسلام ولا قدر على أهله ما هم فيه من الشقاء والبلاء - وى حشو التفاسير بالخرافات والأسرائيليات وتفسير كتاب الله بتلك الأباطيل والترهات وما دامت تلك التفاسير تطبع وتشر بين المسلمين فلا رجاء فيما نعتقد أن يعود للإسلام مجده أو أن يستقيم شأن العالم الإسلامي وينتفش جسمه بعد ما أصابه من الخمود والوهن والاستعداد للزوال . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الاسباب والمسببات وخوارق العادات

ذهب المتكلمون الى ان الاقتران بين الاسباب والمسببات ليس ضروريا بل كل شيئين ليس اثبات احدهما تضمننا لاثبات الآخر ولا فيه متضمنا لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ولا من عدم احدهما عدم الآخر مثلى الرى والشرب والشبع والاكل والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء وان الاقتران بين الاسباب والمسببات لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوق وان فى المقدور خلق الشبع دون الاكل وخلق الموت دون جز الرقبة . ولقد زعموا ان هذا القول هو الذى يتلاقى مع المعجزات الخارقة للعادة .

اما الحكماء فقد ذهبوا الى ان الاقتران بين الاسباب والمسببات ضرورى ولقد ذهب ابن رشد الى ماذهب اليه الحكماء وقال ان انكار وجود الاسباب الفاعلة التى تشهد فى المحسوسات غلط فاحش والمتكلم بذلك اما جاحد بلسانه لما فى جانه واما منقاد لشبهة سفسطائية عرضت له فى ذلك والقول بتأثير الاسباب وارتباطها بها لا ينافى ما اتفق عليه المسلمون من انه لا فاعل الا الله فان لتفسير ذلك طريقين .

الطريق الاول ان ماسوى الله من الاسباب التى يسخرها ليست تسمى اسبابا فاعلة الاعلى طريق التجوز لان وجودها مستمد منه وهو الذى سيرها اسبابا بل هو الذى يحفظ وجودها فى كونها فاعلة ويحفظ مفعولاتها بعد فعلها ويختار جواهرها عند اقتران الاسباب بها وكذلك يحفظها هو فى نفسها وهذا هو المفهوم من انه لا فاعل الا الله وهو الذى يشهد له الحس والعقل والشرع . اما الحس والعقل فانه يرى ان هاهنا اشياء وان النظام الجارى فى الموجودات انما هو من قبل امرين احدهما ماركب الله فيها من الطبائع والنفوس الثانى ما احاط بها من الموجودات من خارج . واشهر هذه هى حركات الاجرام السماوية فانه يظهر ان الليل والنهار والشمس والقمر وسائر النجوم مسخرات لنا وانه لمكان النظام والترتيب الذى جعله الخالق فى حركاتها كان وجودنا ووجود ما هاهنا محفوظا بها حتى انه لو توهم ارتفاع واحد منها او توهم فى غير موضوعه او على غير قدره او فى غير السرعة التى جعلها الله فيه لبطلت الموجودات التى على وجه

بالقوى المدركة صور امتيانه متغيرة على الحد الذى قد يتوهمونه فى المعلومات البشرية ولو ادركوا ان الله تعالى ليس عمادة ولا صورة ولا حسم ولا عرض واتما آفوة . المطلقة لهذا الكون الفاضل على سائر الكائنات ماختلفوا ولا ذهبوا هذه المذاهب

لقد غلط الغزالي وغيره من المتكلمين على الحكماء المشاءين فيما نسبوه اليهم من انهم يقولون انه قدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلا بل يرون انه تعالى لا يعلمها بعلم مجانس لعلمنا بها وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذى هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل فاسم السلم اذا اطلق على العلم المحدث والقديم فهو مقول باشتراك الاسم المحض كما يقال كثير من الاسماء على المتقابلات مثل الجلال المقول على العظيم والصغير والصريم المقول على الضوء والظلمة وكيف يتوهم على المشاءين انهم يقولون انه سبحانه لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات وهم يرون ان الرؤيا الصادقة تتضمن الانذارات بالجزئيات الحادثة فى الزمان المستقبل وان ذلك العلم لمنذر يحصل للانسان فى النوم من قبل العلم الازلى المدبر للكل والمستولى عليهم .

ولقد محض مذهبهم فى كتاب التهافت وبينه بناء على اصولهم فقال . ان القوم لما وقفوا بالبراهين على انه لا يعقل الازداته وذاته عقل ضرورة ولما كان لعقل بما يتعلق بالذات جودات لا بالمعدومات وقد قام البرهان على انه لا موجود الا هذه الموجودات التى نعقلها فلا بد ان يتعلق علمه بها اذ لا يمكن ان يتعلق بالعدم واذا وجب ان يتعلق بهذه الموجودات فاما ان يتعلق بها على نحو تتعلق علمنا بها واما ان يتعلق بها على وجه اشرف واكمل . فاما ان يتعلق بها على نحو ما يتعلق به علمنا فستحيل لان العلم الصادق هو الذى يطابق الموجود . فعلم الله يتعلق من الموجود بجهة اشرف من الجهة التى يتعلق علمنا بها فلاموجود اذن وجودان وجود اشرف ووجود اخس والوجود الاشرف هو علة الوجود الاخس وهذا معنى قول القدماء ان البارئ تعالى هو الموجودات كلها وهو المنعم بها والفاعل لها ولذلك قال رؤساء الصوفية لا هو الا هو . (١)

(١) «الهداية» اورد الكاتب الماضى رأى ابن رشد فى علم الله بالجزئيات والمع الى آراء غيره من اهل المذاهب الاخرى . وكما نود لو ان فى الوقت الحاضر وفى هذا العدد من الهداية متسعا لاحث فى هذه الآراء ونقدتها بقدا يظهر اما كن اتوهم فيها فليجترى الاكن بالملاحظة الآتية

يظهر للباحث المتدبر آراء من خاس فى هذا البحث واشبهاء ان القوم قد انبس عليهم الاسر فتشابه عليهم الخالق بالمخوف والمادة المصورة المقطرة بالمصور المدبر الذى ليس بعرض ولا جوهر ولا يمكن ولا يمكن الذى ليس كمثل شئ وهو اللطيف الخبير . يتمثل علم الله تعالى لا لؤلئك الباحثين من معتزلة وفلاسفة واهل سمة كانه علم انبشر المقسم الى كليات وجزئيات فهم يتخاضمون ويتجادلون فى انه كيف يعلم الله الجزئيات وهى تقضى

الاسباب والمسببات وخوارق العادات

ذهب المتكلمون الى ان الاقتران بين الاسباب والمسببات ليس ضروريا بل كل شيئين ليس اثبات احدهما تضمننا لاثبات الآخر ولافيه متضمننا لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود احدهما وجود الآخر ولا من عدم احدهما عدم الآخر مثلى الرى والشرب والشبع والاكل والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء وان الاقتران بين الاسباب والمسببات لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوق وان فى المقدور خلق الشبع دون الاكل وخاق الموت دون جز الرقبة . ولقد زعموا ان هذا القول هو الذى يتلاقى مع المعجزات الخارقة للعادة .

اما الحكماء فقد ذهبوا الى ان الاقتران بين الاسباب والمسببات ضرورى ولقد ذهب ابن رشد الى ماذهب اليه الحكماء وقال ان انكار وجود الاسباب الفاعلة التى تشاهد فى المحسوسات غلط فاحش والمتكلم بذلك اما جاحد بلسانه لما فى جانه واما منقاد لشبهة سفسطائية عرضت له فى ذلك والقول بتأثير الاسباب وارتباطها بها لا ينافى ما اتفق عليه المسلمون من انه لا فاعل الا الله فان لتفسير ذلك طريقين .

الطريق الاولى ان ماسوى الله من الاسباب التى يستخرها ليست تسمى اسبابا فاعلة الاعلى طريق التجوز لان وجودها مستمد منه وهو الذى يربها اسبابا بل هو الذى يحفظ وجودها فى كونها فاعلة ويحفظ مفعولاتها بعد فعلها ويخترع جواهرها عند اقتران الاسباب بها وكذلك يحفظها هو فى نفسها وهذا هو المفهوم من انه لا فاعل الا الله وهو الذى يشهد له الحس والعقل والشرع . اما الحس والعقل فانه يرى ان هاهنا اشياء وان النظام الجارى فى الموجودات انما هو من قبل امرين احدهما ماركب الله فيها من الطبائع والنفوس الثانى ما احاط بها من الموجودات من خارج . واشهر هذه هى حركات الاجرام السماوية فانه يظهر ان الليل والنهار والشمس والقمر وسائر النجوم مسخرات لنا وانه لمكان النظام والترتيب الذى جعله الخالق فى حركاتها كان وجودنا ووجود ما هاهنا محفوظا بها حتى انه لو توهم ارتقاع واحد منها او توهم فى غير موضوعه او على غير قدره او فى غير السرعة التى جعلها الله فيه لبطلت الموجودات التى على وجه

لقد غلط الغزالي وغيره من المتكلمين على الحكماء المشاءين فيما نسبوه اليهم من انهم يقولون انه قدس وتعالى لا يعلم الجزئيات اصلا بل يرون انه تعالى لا يعلمها بعلم مجانس لعلمنا بها وذلك ان علمنا معلول للمعلوم به فهو محدث بحدوثه ومتغير بتغيره وعلم الله بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذى هو الموجود فمن شبه العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل فاسم العلم اذا اطلق على العلم المحدث والقديم فهو مقول باشتراك الاسم المحض كما يقال كثير من الاسماء على المتقابلات مثل الجلال المقول على العظيم والصغير والصريم المقول على الضوء والظلمة وكيف يتوهم على المشاءين انهم يقولون انه سبحانه لا يعلم بالعلم القديم الجزئيات وهم يرون ان الرؤيا الصادقة تتضمن الانذارات بالجزئيات الحادثة فى الزمان المستقبل وان ذلك العلم لمنذر يحصل للانسان فى النوم من قبل العلم الازلى المدبر للكل والمستولى عليهم .

ولقد محض مذهبهم فى كتاب التهافت وبينه بناء على اصولهم فقال . ان القوم لما وقفوا بالبراهين على انه لا يعقل الاذاته وذاته عقل ضرورة ولما كان لعقل بما يتعلق بالموجودات لا بالعدمات وقد قام البرهان على انه لا موجود الا هذه الموجودات التى نعقلها فلا بد ان يتعلق علمه بها اذ لا يمكن ان يتعلق بالعدم واذا وجب ان يتعلق بهذه الموجودات فلما ان يتعلق بها على نحو يتعلق علمنا بها واما ان يتعلق بها على وجه اشرف واكمل . فلما ان يتعلق بها على نحو ما يتعلق به علمنا فستحيل لان العلم الصادق هو الذى يطابق الموجود . فعلم الله يتعلق من الموجود بجهة اشرف من الجهة التى يتعلق علمنا بها فلموجود اذن وجود اشرف ووجود اخس والوجود الاشرف هو علة الوجود الاخس وهذا معنى قول القدماء ان البارئ تعالى هو الموجودات كلها وهو المنعم بها والفاعل لها ولذلك قال رؤساء الصوفية لا هو الا هو . (١)

(١) «الهداية» اورد الكاتب الماضل رأى ابن رشد فى علم الله بالجزئيات والمع الى آراء غيره من اهل المذاهب الاخرى . وكما نود لو ان فى الوقت الحاضر وفى هذا العدد من الهداية متسعا للبحث فى هذه الآراء ونقدتها نقدا يظهر اماكن انوهن فيها فلدجئزى الآن بالملاحظة الآتية

يظهر للباحث المتدبر آراء من خاض فى هذا المبحث واشبهه ان القوم قد اتيسر عليهم الاسر فتشابه عليهم الخاق بالمخوف والمادة المصورة المقدر بالصور المدبر الذى ليس بعرض ولا جوهر ولا يمكن ولا يمكن الذى ليس كمثلته شئ وهو اللطيف الخبير بتبثيل علم الله تعالى لاولئك الباحثين من معتزلة وفلاسفة واهل سعة كاله علم انبشر المقسم الى كليات وجزئيات فهم يخاصمون ويتجادلون فى انه كيف يعلم الله الجزئيات وهى تقضى

بالقوى المدركة صورامتيانية متغايرة على الحد الذى قد يتوهمونه فى المعلومات البشرية ولو ادركوا ان الله تعالى ليس عمادة ولا صورة ولا جسم ولا عرض واتما آفوة . المطلقة لهذا الكون الفائض على سائر الكائنات ماختلفوا ولا ذهبوا هذه المذاهب

قال الغزالي ان الفلاسفة لم يشبوا من المعجزات الخارقة للعادة الا ثلاثة امور .
(١) خاصية في القوة المتخيلة فافهم زعموا انها اقوى ولم تستغرقها الحواس بالاشتغال
اطلعت على اللوح المحفوظ وانطبع فيها صور الجزئيات التي تكون في المستقبل وذلك في اللحظة
للانباء ولسائر الناس في النوم

(٢) خاصية في القوة العقلية النظرية وهذا راجع الى قوة الحدس وهو
سرعة الانتقال من معلوم الى معلوم فرب ذكي اذا ذكر له المدلول تنبه للدليل واذا
ذكر له الدليل تنبه للمدلول من نفسه وبالجملة اذا خطر له الحد الاوسط تنبه للنتيجة واذا
حضر في ذهنه حد النتيجة خطر بباله الحد الاوسط الجامع بين طرفي النتيجة
والناس في هذا منقسمون فمنهم من يتنبه بادنى تنبيه ومنهم من لا يدرك مع
التنبه الابتعب كثير واذا جاز ان ينتهي طرف النقصان الى من لا حدس له
اصلا حتى لا يتبين لفهم المعقولات مع التنبيه جاز ان ينتهي طرف القوة والزيادة
الى ان يتنبه لكل المعقولات اولاكثرها وفي اسرع الاوقات واقر بها ويختلف
ذلك بالكمية في جميع المطالب او في بعضها وبالكيفية حتى يتفاوت في السرعة
والقرب قرب نفس مقدسة صافية يستمر حدسها في جميع المعقولات وفي اسرع
الاوقات فهي النبي الذي له معجزة من القوة النظرية فلا يحتاج في المعقولات الى
معلم بل قد يتعلم من نفسه .

(٣) القوة النفسية العملية فقد تنهى الى حد تتأثر بها الطبيعيات وتستخزلها
مثاله ان النفس منا اذا توهمت شيئا خدمته الاعضاء والقوى التي فيها حركة فتتحركت الى
الجهة المتخيلة المطلوبة حتى اذا توهمت شيئا طيب المذاق تجلبت اشداقها وانتهضت القوة الملعبة
فياضه بالاعاب من معادنها بل اذا مشى على جذع ممدود على فضاء طرفاه على حائطين اشتد
توهمه الى السقوط فانقل الجسم بترهمه وسقط ولو كان ذلك على الارض لمشي عليه ولم يسقط
وذلك لان الاجسام والقوى الجسمية خالقت خادمة مسخرة للنفس ويختلف ذلك باختلاف
صفاء النفس وقوتها فلا يبعد ان تبغ قوة النفس الى حد تخدمه القوة الطبيعية في غير بدنه لان
نفسه ليست منطبعة في بدنه الا ان له نوع تزوع وشوق الى تدبيره خلق ذلك في جبلته فاذا
جازان تطيعه اجزاء بدنه لم يمتنع ان يطيعه غيره فتطلع نفسه الى هبوب ريح او
تزلزل ارض او تزلزل صاعقة او تزلزل ارض لتخسف بقوم وذلك موقف حصوله
على حدوث برودة او سخونة او حركة في الهواء فيحدث من نفسه تلك السخونة
والبرودة ويتولد منه هذه الامور من غير حصول سبب طبيعي ظاهر ويكون
ذلك معجزة للنبي . هذا ما كتبه الغزالي وغيره من المتكلمين في بيان مذاهب
الفلاسفة غير ان ابن رشد ابان تحبطهم وغلطهم على الفلاسفة فقال في كتاب
تهافت التهافت .

الارض وذلك بحسب ما جعل الله في طباعها من ذلك وجعل في طباع ما ههنا
تتأثر عن تلك وبالجملة لولا القوى التي في اجسام الحيوان والنبات والقوى
السارية في هذا العالم من حركات الاجرام السماوية لما امكن ان تبقى طرفتي
فسبحان اللطيف الخبير . ولقد نبه الله في غير ما آية من القرآن الى ذلك فقال
(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر) وقال (قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيامة) وقال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله) وقال (وسخر لكم الشمس والقمر دائيين وسخر لكم الليل
والنهار) الى غير ذلك من الآيات التي لو لم يكن لها تأثير فيما هاهنا لما كان لوجودها
حكمة امتن بها علينا اما الطريق الثانية فهي ان الموجودات الجارية منها ما هي
حركات وسخونة وبرودة فالما الجواهر والاعيان فليس اختراعها الا عن الخالق
سبحانه وما يقترب بها من الاسباب فانما يؤثر في اعراض تلك الاعيان لا في
جواهرها . مثال ذلك ان الفلاح يفعل في الارض تخميرا او اصلاحا ويبدد فيها
الحب واما المعطى حلقة السنبلة فهو الله تعالى تبارك وتعالى الى هذا المعنى تشير الآية (يا ايها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
اجتمعوا له وان يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)
وهذا هو الذي رام ان يغالط فيه الكافر ابراهيم عليه السلام حين قال انا احيي
واميت فلما راي ابراهيم عليه السلام انه لا يفهم هذا المعنى انتقل معه الى دليل
وقطعه به فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .

فقد تبين من هذا على اي وجه يوجد لنا اكتساب وان من قال باحد
الطرفين في هذا المسألة فهو مخطئ كالمعتزلة والجبرية واما الاشعرية التي
توسط الامرين ورامت ان تكون صاحبة الحق فليس لقولهم اثر ظاهر مفهوم
فانهم لا يحملون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذي يدركه الانسان بين
حركة يده عن الرعدة وتحريك يده باختياره فانه لا معنى لاعترافهم بهذا الفرق
اذا قالوا ان الحركتين ليستا من قبلنا لانه اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة
الامتناع منها فنحن مضطرون فقد استوت حركة الرعدة والحركة التي يسمونها
كسبية في المعنى ولم يكن هنالك فرق الا في اللفظ . هذا راي ابن رشد في
الاسباب وارتباطها بمسبباتها اما رايه في المعجزات وخوارق العادات فقبل التعرض
لبيانها نذكر خلاصة ما نسب المتكلمون الى الفلاسفة ونبين صحاحه من فاسده .

قال المتكلمون ان مذهب اليه الفلاسفة من ضرورة اقتران الاسباب بمسبباتها
قد دعاهم الى انكار المعجزات وتأويل ما جاء في القرآن في شأن ذلك فقالوا ان
المراد باحياء الموتى ازالة موت الجهل بحياة العلم الى غير ذلك من التأويلات .

ان الكلام في المعجزات ليس فيه للقضاء من الفلاسفة قول لان هذه كانت عندهم من الاشياء التي يجب ان لا يتعرض للفحص عنها وتجعل مسائل قائما مبادئ للشرائع والفاحص عنها والمشتكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة مثل هل الله موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة وانه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها امر الهى تعجز عن ادراكه العقول البشرية والملة في ذلك ان هذه مبادئ الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة فوجب الا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا باوضاع ومصادر يتسلها المعلم اولا فاحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية . واما ما حكاه الغزالي وغيره من المتكلمين فلم يقل احد به من الفلاسفة الا ابن سينا وان ما نسب الى الفلاسفة من الاعتراض على معجزة ابراهيم عليه السلام وغيرها من المعجزات فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ الشرائع وفاعل ذلك عندهم يحتاج الى ادب شديد وذلك انه لما كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا بابطال كانت الصناعة العملية الشرعية اخرى بذلك لان السير على الفضائل الشرعية ضرورى عندهم ولذا يجب على كل انسان ان يسلم مبادئ الشرائع وان يقلد فيها فان جحدتها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل الزنادقة فالذى يجب ان يقال فيها ان مبادئ امور الهية تفوق العقول الانسانية فلا بد ان يعترف بها مع جهل اسبابها ولذلك لا نجد احدا من القدماء تكلم في المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم لانها مبادئ تثبت بها الشرائع والشرائع مبادئ الفضائل فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق « فقد بان لك ان القدماء من الفلاسفة ليس لهم رأى في المعجزات فإرآه ان في هذه

المسألة لم يسبقه به احد من فلاسفة الاسلام

يرى ابن رشد ان الرسل والانبياء هم الذين يضعون الشرائع بوحى من الله لا بتعلم انساني وانهم الذين ينهون العقول الى طريق سعادتهم ويرشدونهم الى سبل انهدى فالمعجزة الحارقة للعادة التي يأتون بها لابدان تكون من وضع الشرائع واما الحارق للعادة الذي ليس في نفس الامر من وضع الشرائع مثل انفلاق البحر واحياء الموتى فليس يدل دلالة ضرورية على النبوة وانما تدل اذا اقترنت بالدلالة الاولى الطبيعية ولهذا كانت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع لان اصولها العامة

صلى الله عليه وسلم لوا دركنى موسى ماوسمه الا اتباعى وقال تعالى يا ايها الناس ائني رسول الله اليكم جميعا وقال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود ولقد كان من رأى ابن رشد كما يرى كثير من الباحثين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزة سوى القرآن لانها هي المعجزة التي توافق سنن الانبياء وتنطبق على طريقهم . اما ما كان يأتيه النبي صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات فان صحته روايته فانه لا يكون على سبيل المعجزة ولذلك يقل احد ممن ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم آتى بمعجزات كثيرة غير القرآن انه قد تجددى بها ولذا اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سؤال الذين طلبوا منه ان يأتى بما يخالف ما جاء لاجله الانبياء بقوله ما كنت الا بشرا رسولا (وقالوا ان تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك حنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتى بالله والملائكة قبلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن يؤمن لرقبك حتى ننزله عليك كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

اما رأيه في خوارق العادات التي تأتي لاعلى القانون المتقدم فانها من قبيل المسببات التي تجهل اسبابها وان جهلنا بالسبب لا يستدعي عدمه فانه ليس في استطاعة الانسان ان يفعل جميع الممكنات له قصد يق الانبياء اذا اتوا بالحسارق ليس من قبيل التصديق بالممتنع في حق الانسان الممكن في حق النبي فان ذلك خرق للنظام والقول به جهل بالنظام الكوني والسنن التي سنها الله فيه واخبر انها لا قبل التبدل والتغير .

حافظ وهبه

تيار الاستعمار في بلاد الاسلام

٢

فرنسا في الجزائر

الجزائر هي البلاد الاسلامية التي ابتليت بالاستعمار الاوروبي في القارة الافريقية بعد بلاد السنغال التي مر الكلام عنها في عدد المحرم . فقد فتح الفرنسيون مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠ وكانت بقية البقاع الاسلامية في افريقية ماعدا السنغال لا تزال الى ذلك العهد بمان من الفتوحات الاوروبية بعيدة عن تيارها المخيف اما مصر فهي وان كانت قد احتلها الفرنسيون قبل ذلك اى في سنة ١٧٩٨ الا انها عادت بعد انجلاء الفرنسيين عنها سنة ١٨٠١ الى حالتها الاولى جزءا من

ولقد كان للجزائر في التاريخ شأن يذكّر قبل ان تحتلها فرنسا ولذلك يحسن بنا ان نذكر شيئاً عن ماضيها قبل ذلك الاحتلال وكيف تم لفرنسا الاستيلاء عليها. كانت سلطنة الاتراك في القرن السادس عشر قد امتدت الى جل شواطئ بحر الروم جنوباً وشرقاً وكانت البوارج الثمانية تمخر عسابه حاملة العلم العثماني الذي كانت له السيادة العامة في ذلك البحر. وفي ذلك العهد استولى الاميرال خيرالدين بارباروس على مدينة الجزائر وطرد منها الاسبانين الذين كانوا اصحاب النفوذ والسلطان فيها وانشأ هناك اماره اسلامية قوية جعلها تحت سيادة دولة آل عثمان ليكون بمثابة من غارات الدول الأوروبية فاعتبرت الجزائر من ذلك الحين جزءاً من السلطنة العثمانية وصار الاعضاء من بعده يتعاقبون على تلك الولاية بعد ان استوطنوها وجمعهم والاها الى رابطة الدين. وبفضل مهارتهم التي كانت تضرب بها الامثال في ركوب متن البحار كان لهم على ظهره سطوة كبيرة جعلت تزايد حتى صارت الدول الأوروبية تحسب لهم حساباً كبيراً وتخشى منهم على سفنها التجارية التي كانت تخترق البحر الابيض

وظلوا على هذه المنعة والصلوة اكثر من ثلاث مائة عام فكان رجالهم يركبون البحر من آن لآخر على مراكب خفيفة سريعة فيغزون مراكب الافرنج ويستولون على ما بها من الخيرات والمتاجر ووصلت بهم الخبرة الى حدانهم كانوا لا يقتصرون على غزو المراكب الافرنجية في البحر بل كانوا ينزلون احياناً بالشواطئ الجنوبية في اسبانيا وايطاليا ويتوغلون الى غايات بعيدة في الداخل فيوقعون الرعب في قلوب اهالي تلك الشواطئ وكثيراً ما كانوا يأسرون بينهم خلقاً كثيراً ثم يعودون الى الثغور الجزائرية آمنين غانمين وقد دون مؤرخو ذلك العهد اخباراً كثيرة عن غزواتهم تدويناً يدل على مقدار ما كانوا عليه من القوة والبطش فكان الاسرى الافرنج الذين يأتي بهم الغزاة الى الجزائر يعدون بالالوف وكانت الدول تشتري احياناً سلامة سفنها بضريبة سنوية تدفعها لاميرال البحر ولم تقتصر حركاتهم وغزواتهم على البحر الابيض بل كانوا يجتازون بوغاز جبل طارق ويجوبون مياه المحيط الاطلسي الاعظم بالقرب من الشواطئ الأوروبية الى ان وصلوا الى بحر المانش ليطاردها السفن الافرنجية وقد بلغ الخوف من بطشهم مبلغاً كبيراً حتى روى بعض المؤرخين ان احد ابناء ملكة فرنسا كازين دى مديسيس عزم مرة على اجتياز بحر المانش والوصول الى انجلترا ولكنه عدل عن سياحته بعد ان نصحه بذلك حاشية الملكة خوفاً من ان تصادفه في البحر سفن

فانظر الى اي حد وصلت باؤلئك القوم صولتهم ! وقد حاول الامبراطور شارل كان ملك اسبانيا ان يذلهم ويضعف من سطوتهم على ظهر البحار ولكنه لم ينل منهم غرضه لان تفوقهم في ركوب البحار جعلهم يأمّن من ذلك وارانولويس الرابع عشر ملك فرنسا ان يخضعهم ولكن لم ينل من اميرالجزائر الا وعداً بان لا يتعرض للسفن التجارية الحاملة للعلم الفرنسي

ولما آل الأمر الى نابليون فكر في فتح الجزائر كما فتح مصر من قبل ويقولون انه ارسل بالفعل ضابطاً من اركان حربه الى مدينة الجزائر ليدرس مواقعها ويرسم الخطة التي تمكن الجيش الفاتح من الاستيلاء عليها ولكنه رجع عن عزمه ويقول المؤرخون الفرنسيون ان الذي اقصده عن فتح الجزائر هو مقام بينه وبين دول أوروبا من الحروب المتعاقبة التي استنفدت كل قواه ومجهوراته وبذلك منّت الجزائر من الدخول في حرب معه. وقد كان اشتباك الدول الأوروبية في حروب نابليون وانصرافها الى مقاومة ذلك الحطم العنيد سبباً في تعاضل امراء الجزائر ومطاردتهم للسفن الافرنجية حتى اضطرت انجلترا بعد ان تحلّصت من خصمها اللدود نابليون الاول الى ارسال عمارة بحرية الى ثغر الجزائر سنة ١٨١٦ فاطلقت القنابل على البلد وأحرقت جزءاً من اسطول الداي ولكن ذلك لم يحل دون تجول مراكبه في البحر ومطاردتها السفن الفرنجية واخذة اللقطة منها لان امراء الجزائر كانوا يعتبرون دول أوروبا في حرب دائمة معهم تحمل لهم مصادرة سفنها في البحر، وقد اعدت انجلترا الكرة في سنة ١٨٢٤ وطلبت من الداي ضمانات بسلامة سفنها وهددته بضرب الجزائر ولكن الداي لم يحفل بذلك واضطرت انجلترا في تلك السنة الى ان تدعو قسماً في الجزائر اجابة لطلب الداي الذي اصر على ان لا يبقى هذه القنصل في المدينة.

ظلت اسيرة الجزائر على تلك القوة وكان ينتظر ان تستفيد من قوتها لوان امرأها اخذوا باسباب الرقي في الصناعة والعلوم الحربية ونظموا قوتهم وجاروا الدول الافرنجية في رقبها ولكنهم بكل اسف جمدوا على احوالهم وطرقهم القديمة واخذت الأمم الافرنجية تتفوق عليهم بما تقوى به من مستحدثات العلم والصناعة فضمعت قوة اماره الجزائر واخذت تتضعض شيئاً فشيئاً الى ان صارت هدفاً للمطامع الأوروبية بعد ان كانت خلال ثلاثة قرون مصدر قلق مستمر لدول أوروبا. ومن الغريب ان اولئك الامراء كانوا يرون باعينهم آثار رقي الأمم الفرنجية ظاهرة في تجارتها وصناعاتها واساطيلها الحربية وسفنها التجارية ومع ذلك لم يفكروا في تحييد اسطول بلادهم وجمعهم في مضاف الى اساطيل الفلانة

في عدده بل إبقوه على حاله القديمة فكانت النتيجة ان الدول الفرنجية لم تعد تحسب لحركات السفن الجزائرية حساباً كبيراً . واخذت فرنسا تتحين الفرص لتحتل تلك البلاد لما آمنت الضعف من حكامها وعدم استمدادهم وتذرعت الى ادراك غرضها بما ظن يبينه الامراء من الخرق في السياسة والتخبط والفوضى في الادارة وهكذا يتقلب العلم على الجهل والنظام على الفوضى

بدأت مقدمات احتلال فرنسا لتلك البلاد حوالي سنة ١٨١٨ وذلك ان امراء الجزائر كانوا من قديم العهد يحبون من المحلات التجارية التي انشأها الفرنسيون على السواحل بقصد المتاجرة مع الاهالي رسوما سنوية في نظير التصريح لها بالمتاجرة وعدم التعرض لها فلما قامت الحرب بين انجلترا وفرنسا في عهد نابليون الاول وتحطمت العمارة الفرنسية في واقعة الطرف الاغر استولت انجلترا سنة ١٨٠٧ على تلك المحلات التجارية وظلت تحت يدها زهاء عشرين سنة الى السنة التي ضرب فيها الاسطول الانجليزي مدينة الجزائر فحقق الداي عمر بك على الانجليز واسترد منهم امتياز المتاجرة في تلك المحلات وردده الى فرنسا وضرب عليها رسماً سنوياً ثلاثمائة الف فرنك ثم نقضه خلفه الى تسعين الفا

وفي سنة ١٨١٨ تولى الداي حسين اماره الجزائر فرغب في زيادة الرسوم على تلك المحلات نظراً لزيادة متاجرها فابتدأ الخلاف من اجل ذلك يستفحل بينه وبين قنصل فرنسا اذ ذلك واستمر الخلاف في دوره الاول مدة سنتين وانتهى في سنة ١٨٢٠ على ان تدفع فرنسا مائتين وشرين الف فرنك بدل تسعين الفا ولكن هذا الاتفاق لم يضمن حداً للخلاف لان قنصل فرنسا كانوا في ذلك العهد عيوناً للحكومة الفرنسية في تلك البلاد وضبط الداي بعضهم يهرب الاسلحة الى القبائل البدوية في الداخل لتثور في وجه حكومة الداي وتتوصل فرنسا بذلك الى الاستيلاء عليها سنة الاستعمار في كل زمان ومكان

اشتد الخلاف بين الداي وقنصل فرنسا وطلب من الحكومة الفرنسية استرداد ذلك القنصل فابت عليه ذلك وكانت مصممة على ان تصل بالخلاف الى حد تحكيم السيف توصلاً الى احتلال الجزائر ولقد كانت من قبل تتحين الفرص وتخير الوقت المناسب الذي تأمن فيه دخولها في خلاف سياسي مع دول أوروبا بسبب احتلالها للجزائر لان انجلترا كانت تحسب حساباً كبيراً لاستيلاء فرنسا على تلك البلاد فظلت فرنسا من اجل ذلك مترددة تنتظر وقوع حادثه تكون حجة قوية للتدخل ففي سنة ١٨٢٧ ابلغت فرنسا الامير حسين بك انه اهان قنصلها بان لطمه

وطلبت منه الاعتذار عن هذه الالهانة والاقطعت علاقاتها معه . وامرته قنصلها بالعودة الى فرنسا اذا لم يقدم الداي الاعتذار الواجب وارسلت لهذا الغرض عمارة بحرية لتبليغ الداي طلبات الحكومة الفرنسية وطلب قائد هذه العمارة ان يكون الاعتذار بالشكل الذي اشترطه هو وهوان يحضر ناظر بحرية الجزائر الى مركب القائد ويقدم بنفسه اعتذار الداي وان يرفع العلم الفرنسي في ذلك الوقت على جميع نلاع المدينة ويحيي بمائة طلقة من مدافع القلاع . وكان قائد العمارة الفرنسية على بينة ان الداي لا يقبل هذا الاعتذار المهين فيكون امتناعه سبباً في اعلان الحرب . وقد تنبأ بذلك قبل ان يعرض طلباته فاستدعى قنصل فرنسا جميع رعايا دولته واتزلهم في المراكب التي اتى بها لهذا الغرض لتقاع ٢٢ الى الشواطئ الفرنسية

رفض الداي طلب فرنسا فحاصر الاسطول الفرنسي مدينة الجزائر واستمر هذا الحصار مدة ثلاث سنوات دون ان يزل الاسطول جوداً الى البر .

ويقول المؤرخون الفرنسيون ان اسبب في ذلك هوان فرنسا كانت تنتظر كل هذه المدة ان يعتذر لها الداي عن اهانة قنصلها ولكن الظاهر ان الظروف السياسية الدولية لم تكن تسمح لفرنسا في ذلك الوقت ان تنزل جنودها الى البر لان الدول الأوروبية كانت تشغلها حينذاك المسألة الشرقية التي ظهرت في تلك السنوات بمظهر خطير بسبب الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٢٨ وبسبب ثورة اليونان . فكانت أوروبا مشغولة بايجاد حل لهذه المسألة التي تعارضت فيها مصلحة أوروبا ومصلحة روسيا فقد كان القيصر نيقولا الاول يتهدد كيان الدولة ويريد ان يساخ عنها الاملاك الأوروبية وجعل نفسه لهذا الغرض حامياً للأورثوكسية وكانت أوروبا تميل من جهة الى مساعدة الولايات المسيحية العثمانية في أوروبا مدفوعة بدافع الدين وتحشى من جهة أخرى خطر امتداد نفوذ روسيا في شبه جزيرة البلقان فانتهت هذه الازمة بمساعدة ادرنه سنة ١٨٢٩ التي نالت بها ولايات الافلاق والبنغدان والصرب استقلالها الداخلي واتفقت اورده في سنة ١٨٢٨ على ان تمنح اليونان استقلالها بعد ان ساعدت في ثورتها وامرتها فرنسا فعلا بجيش نظامي في سنة ١٨٢٨ ونالت استقلالها سنة ١٨٣٠

كل هذه الحوادث السياسية اخرت عزم الحكومة الفرنسية على ارسال جنودها الى الجزائر فلما انتهت أوروبا من تلك الحوادث خلا لفرنسا الحيو فقررت تجريد الحملة على الجزائر في اواخر يناير سنة ١ٸ٣٠ وكانت ارسلتهم فرنسا الى الجزائر خفية وكثفوا فيها عدة سنوات يدرسون مسالكها وطرق دفاعها ويسفون مواطن

الى ذلك ان الخلاف كان مستحكما بين الأمير والاهالى وكذا بينه وبين حاشيته فكان الاهالى والعدو على الابواب يرهقونه كل يوم بالطلقات وذوو المطامع من حاشيته يشغلون ضده بالدسائس والمؤامرات وبينما كانت فرنسا تجهز في الخفاء حملتها على بلادهم كان بعض حاشية الأمير حسين يتآمرون على خلعها فكتشف الأمير المؤامرة واعدم من دبروها ولم يعرف القوم ان تقر قهم سيؤدى الى ضياع بلادهم الا بعد ان علموا بقيام الحملة من طولون واقترب ساعة الخطر . فأخذ الأمير حسين يحصن المدينة ولكن بعد فوات الوقت وشهد الاهالى ازره في الوقت الأخير فركب بطاريات من المدافع على الشواطئ وسد مدخل الميناء بسلاسل من حديد وبقى الاسطول في داخلها وركب فيه المدافع اعتقادا منه ان الفرنسيين سيحاولون الاستيلاء على المدينة من طريق البحر ولم يكن يعلم انهم سينزلون جنودهم في سبى فروخ فاهمل تحصين المدينة من طريق اكبر ولم يجد الوقت الكافى لجمع جموع المقاتلة من العرب فرست السفن الفرنسية في سبى فروخ قبل ان يصل العرب كلهم الى الشواطئ ويرابطوا فيها للدفاع عنها وتمكنت الجنود الفرنسية من النزول الى الشاطئ في ١٤ يونيو من تلك السنة واشتبكوا بعد نزولهم بعدة الاف من الاتراك والعرب لم يستطيعوا الفسلة عددهم صد هجماتهم . ومن اين لبضعة آلاف مهاجم بلغت شجعهم ان يصدوا هجمة جيش مستكمل العدد والعدد؟ قضى الجيش الفرنسى بعد نزوله الى البر خمسة ايام في مناوشات مع جنود الأمير الى ان التقى على مقربة من المدينة بجيشه واشتبك الجيشان في معركة انتهت بهزيمة جيش الأمير ويقال ان بعض رجاله خانوه في هذه الموقعة والله اعلم بمقدار قيمة هذه الرواية من الصحة

تحصن الأمير بعد هذه الموقعة في المدينة التي كان يحكمها من جهة البر حصن قديم يسمى قلعة السلطان فتحصن هو وجيشه فيه وجمع ما أمكنه جمعه من عرب القبائل وعزموا على ان يستسلموا في الدفاع عن المدينة في الحصن وفوق المرتفعات التي تحيط بالبلد . في ٢٩ يونيو هجمت الجنود الفرنسية بمجموعها الكثيرة واعادها الويرة على المرتفعات التي تحيط بالمدينة فقاومهم الجزائريون من ترك وعرب مقاومة تبسل عدة ايام ولكن الفرنسيين صوبوا قنابلهم على المدينة من البر والبحر فصار اهلها بين نارين حامين وتحصن انصار من المجاهدين منهم في قلعة السلطان وقاوموا الفرنسيين فيها مقاومة الاباطل ولكن مدافع الفرنسيين القوية اسكتت ما في القلعة من المدافع القديمة فلما رأى من فيها استحالة المقاومة تسفوا القلعة نسفا بعد ان انسحبوا منها حتى لا تقع في يد الاعداء . ولما وصل خبر استيلاء الفرنسيين على القلعة سرى الرعب الى قلوب الاهالى لانهم اعتقدوا ان الفرنسيين داخلون في المدينة لاحتلالها فظلموا من الأمير

الضعف في استحكاماتها وهذا يدل على ان فرنسا كانت عاقدة النية من قبل على احتلالها واعدت فرنسا ستمائة مركب من انواع مختلفة لنقل الحملة وتزليتها في موقع يبعد عن مدينة الجزائر غربا بمقدار خمسة اميال معروف باسم سبى فروخ في ٢٥ ابريل من تلك السنة كانت السفن مستعدة في ثغر طولون للانطلاق الى شواطئ الجزائر وعلن الملك شارل العاشر ملك فرنسا في ذلك العهد عن حكومته على تجريد تلك الحملة قائلا في اعلانه « اننا سنتقدم لشرف فرنسا الذي اهبنا اهانة لا تحتل وبعون الله ستستفيد المسيحية باسمها من عملنا المجيد ... » وان هذا الاعلان ليذكرنا بما صرح به ملوك البلقان في ابان الحرب الحاضرة من انهم يحاربون باسم المسيحية وللمسيحية فتصريحهم هذا لم يكن بنغمة جديدة ولا هو ببذعة استحدثوها بل هي عادة قديمة وعاطفة تجلت في سياسة الدول الأوروبية ازاء الاسلام قديما وحديثا ومهما بالغ ساسه اوروبا وكتائبها واجراؤها في الشرق في القول بان سياسة اوروبا سيال الدول الاسلامية انما هي سياسة مصالح لا دخل للعاطفة الدينية فيها فهم انما يخدعون الاغرار من المسلمين . والحقيقة التي لامراء فيها ان اوروبا تعامل المسلمين باعتبارهم مسلمين وجريمتهم في نظرها انهم مسلمون وبلادهم لا حرمة لها لانها بلاد اسلامية . ولئن قام بين دول اوروبا خلاف في هذا الصدد قائما يزول اذا ما اتفقت فيما بينها على تحديد حصص كل منها ورضيت كل دولة بحصتها ولقد وجدت فرنسا بعض المماضة من انجلترا حينما عازمت على تجريد حملتها على الجزائر لان انجلترا خشيت عواقب رسوخ قدم فرنسا بالغرب من بوزار جبل طارق فحصلت مخابرات بين الحكومتين في غرض الحكومة الفرنسية من تجريدتها تلك الحملة فكان جواب فرنسا ان لا غرض لها الا ان تثار لشرفها الذي اهانه امير الجزائر وطالت المخابرات دون ان تقع انجلترا بجواب فرنسا لان انجلترا تعلم قيمة الوعود في المسائل السياسية ولكن الحكومة الفرنسية كانت قد أعدت كل معدات الحملة فلم تتردد في عزمها واقلمت السفن حاملة جنودها من ثغر طولون في ٢٥ مايو سنة ١٨٣٠ قاصدة الجزائر

ولم يكن الأمير حسين قد استعد للملاقاة هذه الحملة استعدادا كافيا ومن اين له ان يستعد وقد تقدم القول بان امراء الجزائر ما كانوا يفكرون في تنظيم قوتهم وتجديدها وجلب مستحدثات الاسلحة والمعدات الحربية . ولم يكن في استطاعة الدولة العلية ان تتجد تلك الامارة البعيدة خصوصا وقد كانت خارجة عن الحرب

ان يسلم فاني مفضلا ان ينسف قصره وتنسف المدينة كلها على التسليم ولكنه بعد ان رأى الاهالى ينفضون من حوله ورأى جيشه قد تمزق شمله اذعن للتسليم وارسل مندوبا الى القائد الفرنسى يطلب منه الصلح فاشتراط القائد ان يسلم القصر والمدينة وبعد اخذ ورد قبل الامير مكرها شروط القائد الفرنسى ودخل الفرنسيون المدينة يوم ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ وفى ذلك اليوم انقرضت امارة الجزائر بعد ان مضى عليها اكثر من ثلاثمائة عام . هذا ما كان من استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر وانقراض امارتها وسنذكر فى المقالة الآتية ماتم بعد ذلك من استيصال الامير عبد القادر فى محاربة الفرنسيين . ومقاومة قبائل العرب فى الداخل والسياسة التى اخذتهم بها فرنسا وما دعى اهل الجزائر فى الاستعمار الفرنسى .

عبد الرحمن الراعى
الحامى

الادب فى القرن التاسع عشر

لحصرة الفضل كاد افندى حجاج

رفاعه بك

لنا بالغ ان قلنا ان هذا الرجل اعظم من تقع البلاد وهو الذى اسس مدرسة الاسن وعين ناظراً لها . وقد هذب مئات من خيرة الرجال وكانت عزيمته لا تعرف الملل يقطع نهاره فى التدريس ويحى ليله فى ترجمة الكتب النافعة وقد الب وترجم وحده عدة كتب هذا بخلاف ما ترجمه قلم الترجمة بمراقبته مثل « كتاب لمونتسكيو » لم يتحقق من اسمه و « وقائع تليماك » وثلاثة اجزاء من « جغرافية مالت برون » ونبذة فى « تاريخ الاسكندر » و « اصول المعادن » وتقسيم ٢٢٤٤ « ومقدمة الجغرافيا الطبيعية » وثلاث مقالات فى « الهندسة » ونبذة فى علم « الهيئة » وقطعة من « علميات رؤساء ضباط العسكرية » و « اصول الحق فى الطبيعة » ونبذة فى « الميتولوجيا » ونبذة فى علم « سياسات الصحة » (تقويم الصحة) وما الفه « انوار توفيق الجليل فى تاريخ مصر وتوثيق بنى اسماعيل » و « نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز » وكتاب « المرشد الامين فى تربية البنات والبنين » وكتاب « مناهج الالباب » وكتاب « قلائد الفاخر فى غريب عوائد الاوائل والاواخر » ورحلته المسماة « تخلص الابرز » الى تخلص غريب عوائد الاوائل والاواخر « ونبذة فى « تاريخ مصر وتوثيق بنى اسماعيل » وغيرها وله قصائد عديدة مدح بها سميد باشا واسماعيل وغيرها قالها فى مناسبات مختلفة واعظمها التى انظمها وهو فى السودان وقد عين هناك ناظراً لمدرسة الخراطوم فارسل هذه القصيدة الى حسن باشا كتحذاي مصر متوسلا اليه

ان ينقله من السودان بعد ان مات نصف من بصحبته من الاساتذة والقصيدة تشير الى احوال السودان وعوائد اهلها ويشكو فيها ماناله من الظلم اثر سعاية اهل الفساد فسمحوا له بالعودة الى مصر بعد ان مكث هناك اربع سنين ومطلع القصيدة .

الافادع الذى نرجو ونادى يحبك وان تكن فى اى ناد

ومنها

رعى الحبان عهد زمان مصر وامطر ربها صوب المهاد
رحلت بصفقة المغبون عنها وفضلى فى سواها فى المزاد
وما السودان قط مقام مثلى ولا سلمى فيه ولا سعادى
بها ربح السموم يشم منها زفير لظى فلا يطفئه وادى
عواصفها صباحا او مساء دواما فى اضطراب واضطراب
ونصف القوم اكثره وحوش وبعض القوم اشبه بالجماد

ومنها

خدمت بموطى زمنا طويلا ولى وصف الوفاء والاعتماد
فكنت بمنحة الاكرام اولى يقدر للتعيش مستفاد
وغاية مطلبى عودى لاهلى ولو من دون راحلة وزاد
وله تخميس لقصيدة من نظم الشيخ عبد الرحيم وهى متوسطة فى الجودة وهو معذور لان الاصل من شعر الفقهاء ومطلعها .
تبدي الغرام واهل العشق تكتمه وتدعيه جدالا من يسلمه
ماهكذا العشق يامن ليس يفهمه خل الغرام لصب دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه

نريد ان نلقى نظرة عامة على نثره فلذلك نورد طرفا من رحلته الى باريس . قال فى اول مقدمة الباب الاول فى ذكر ما يظهرلى من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد التى هى ديار كفر وعناد (كذا) وبعيدة عما غاية الابتعاد وكثيرة المصاريف لشدة غلو الاسعار غاية الاشتداد ومنها : « ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس وكأنه نوع من العياقة » (كذا) والشلبنة (كذا) لامن الفسق فلذلك كان دائما غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف الرقص فى ارض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه تهيج (كذا) الشهوات واما فى باريس فانه نط (كذا) مخصوص لا يشم منه رائحة المهر ابدا وكل انسان يغرم امرأة (كذا) يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها (كذا) آخر للرقصة الثانية . الى ان قال « بالجملة نفس المرأه اياما كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى

(كذا) وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عد هذا من الادب ومنها :
« وقرأت كثيرا في كازيطات العلوم اليومية والشهرية التي تذكر كل يوم ما يصله
خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماة البوليتيكية وكنت متولعا بها غاية التولع
(كذا) وبها استعنت على فهم اللغة الفرنسية (كذا) وربما كنت اترجم منها
مسائل علمية وسياسية خصوصا وقت حراة الدولة العثمانية مع الدولة المسقوفية
(وقد تكررت لفظة خرابة بعده هذه الجملة مرارا في الصحيفة التي تليها !
ولنذكر شيئا من (وقائع تلمك) وهي من اشهر ما ترجم فيها :

« وقد استقام برهة من الزمان يقاوم الاعداء المتكاثرة ويصدام بشجاعته ووصوله (١)
(كذا) جوعهم الوافرة ثم انتهى به الحال ان تناقلت عليه الاحمال فكنت اشاهد
هلاكه واشاهد استهلاكه وذلك ان احد عساكر صور طعنه برمح في صدره فاصاب
اشهر الصدور فانفلت زمام بطيئه من كفه ووقع تحت ارجل الخيل هوى الى حفته
فبادر نفر من العساكر القبرصية فجر (كذا) ناصية الدنية بعد ان كانت قصيه
وقبضها (كذا) من شعورها المرخية (كذا) لتفترج (كذا) عليها البرية وتكون
علامة على النصر الذهية البهية

ومنها قوله في اول المقالة الرابعة : « والى هذا الوقت كايسة باهتة متحيرة
مخبرة فقطعت بكلامها كلامه الفصيح . حتى انه من التعب يستريح . قائلة له قد
حان لك ان تتمتع بلذيت المنام . بعد التعب الكامل (كذا) من حكاية هذا
الكلام . لاخوف عليك هنا . بل كل شئ يلائم مزاجك . فاطلق عنان هواك
في ميدان الهنا وذق طعم الراحة فالده لك مسام وكل الخيرات
الحلوقه تقيض عليك من عندنا فاغتنمها فانت اسلم غانم واغتم سالم »

يتبين للقارئ من اول وهلة ان هذا النثر لا يليق بآداب الاقلام وذوى القدرة
من الكتاب ولولا هذا السجع المزدول لاستقام فيما زى انشاؤه وانتظم .
وما السجع الا عقبات وقود تغل الكاتب وتجعله يترك الخيال والفكر وينصرف الى
البحث عن الفاظ يحشرها تذهب بطلاوة كلامه وتكون لغوا باطلا وتميقا لفظيا
محمقوتا عاطلا من المعاني وآيات البلاغة . وهو الذي هوى بالسلف الى دركات
الانحطاط في الانشاء بل سرى داؤه الى الشعراء فاصبحوا لا يعتنون الا بالالفاظ
وترتيبها بالمحسنات البديعية اللفظية ويظن الشاعرون منهم انه ان نظم بيتا موزونا
وزخرفه بنوع او اكثر من البديع ملك اعنة الشعر وهرولت اليه البلاغة طائفة
خاضعه ولو كان كلامه الفاظا مرصوعة وتركيبه خاليا من المعاني .

كان رفاهه بك ينقصه في انشاءه وترسله الذوق السليم الذي هو روح الانشاء
وملاك البيان . وكثيرا ما يلحن في تصريف الافعال او يأتي بالالفاظ العامية او يكرر
اللفظ مرارا دون ان يغيره بمرادف او يتصرف في ترجمته . وقد انتقده (البارون
سيلفستر دوساسي) المستشرق الفرنسي الشهير الذي ترجم المقامات الحريرية وكليله
ودمته الى الفرنسية اذ قال في خطاب ارسله الى المسيو جومار في شهر فبراير
سنة ١٨٣١

« ولكنه يشتمل على بعض اوهام اسلامية » واظن انه يشير بذلك الى الفاظ
التعصب الديني الذي المودعة في رحلته الى باريس اذ ليس من الادب والذوق ان
يستضيف قوما يأخذ عنهم العالم ثم يسبهم في رحلته التي قدمها الى مشاهير مستشرقهم
ملتصبا منهم ابداء رأيهم فيها

وقال في نقده ايضا « وليست عبارته دائما صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ولعل
سبب ذلك انه استعجل في تسويده وانه سيصلحه عند تبينه وفي التكلم على علم
الشعر ذكر استطرادا بعض اشعار عربية تخرج عن موضوع الكتاب وربما اعجب
ذلك اخوانه من اهل بلاده

وتكلمت بعض الجرائد والمجلات عن نتيجة امتحان الارشالية المصرية
فقاتل عن رفاهه بك .

« وقد اعترض عليه في الامتحان بانه في بعض الاحيان قد لا يكون في ترجمته مطابقة
تامة بين المترجم (اليه) والمترجم عنه وانه ربما كرر وربما ترجم الجملة بجملة
والكلمة بكلمة »

وقد ترقى في نثره قليلا في كتبه منهاج الالباب وانوار توفيق الجليل والايجاز
في سيرة ساكن الحجاز لاسيا حينما يترك التسجيع في عرض كلامه

استبصار في جودتها

الضائقة المالية العثمانية

والآثار النفيسة

(سؤال) ان الدولة العثمانية اليوم في ضائقة مالية فهلا ترون وجوب بيعها
لما لديها من الآثار النفيسة والهدايا الثمينة التي للحرمين الشريفين والمسجد الاقصى
ودور الآثار العثمانية كي تتمكن بذلك من تأليف اسطول قوى تحمي به ثغور الاسلام

وسواحه الممتدة في جملة البحر (١)

« الجواب » (إذا كانت الضرورات تبيح المحظورات) قاعدة اسلامية بنيت عليها احكام عديدة شرعية فان وجود الدولة العثمانية في تلك الضائقة المالية وحاجة البلاد الى اسطول يحمي اطرافها وانقباض ايدى الامم عن اقراضها كل ذلك لا ريب يديح بل يوجب التصرف في تلك النفائس والآثار الثمينة التي لا معنى لوجودها غير منتفع بها . وحسبنا ان تقتدى في ذلك بسيد الكائنات رسولنا الاكرم فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله يقول لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية اوقال بكفر لا تفقت كثر الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها الى الارض ولادخلت فيها الحجر .

قال القرطبي غلط من ظن ان المراد بذلك حلية الكعبة وانما اراد الكثر الذي بها وهو ما كان يهدى اليها فيدخر ما يزيد عن الحاجة . وقال ابن الجوزي كانوا في الجاهلية يهدون الى الكعبة للمال تعظيما لها فيجتمع فيها قال الشوكاني (٢) والذي يفهم من هذا انه ما منع الرسول من اتفاق فضل مال الكعبة وانما كان رعاية لقلوب قريش وقرب عهدهم بالجاهلية والكفر وتعليق القناديل من الذهب او الفضة بالكعبة ليس هناك من الاحاديث ما يدل على جوازها وان نحن لم نقل بتحريمه فلا اقل من القول بالكراهة فان وضع الاموال التي يستفاد بها اهل الحاجات في المواضع التي لا ينفع الوضع فيها عاجلاً او آجلاً مما لا يشك في كراهته

فضل غلة الاوقاف والجهاد

(سؤال) ماذا تقولون في فضل غلات الاوقاف تنفق في سبيل الله كالجهاد وفك الاسارى وهكذا (٣)

(الجواب) جاء في كتاب الاسعاف في بيان احكام الاوقاف (٤) لبرهان الدين بن موسى الطرابلسي قوله ولو اجتمع في غلة وقف على الفقراء وعلى المسجد الجامع مال ثم ناب الاسلام نائبة بان غلبت جماعة من الكفرة على مكانه فاحتيج في رفع شرهم الى مال يجوز للحاكم ان يصرف ما كان من غلة المسجد في ذلك على وجه القرض اذا لم يكن للمسجد حاجة الى ذلك المال يكون ديناً . ذكره الشيخ محمد بن الفاضل . ولو كان الوقف على البر والصدقات وفضل شيء يصرفه في ذلك البر نحو فك الاسارى واعانة الغازي المنقطع انتهى ببعض اختصار

والذي يؤخذ من هذا كما ترى ان مافضل من غلة اوقاف المسلمين اما ان

(١) السائل ع . ج . (٢) راجع صفحته ٢٧٦ من الجزء الخامس من سبل الاوطار للشوكاني (٣) السائل مسلمة التوفيق للحق (٤) السائل ع . ج .

يكون مجتمعا من غلة اوقاف الفقراء والمساجد وعلى هذا يجوز صرفه في الجهاد في سبيل الله ديناً على الحكومة المقترضة واما ان يكون وفقاً على اوجه البر العامة وهناك يمكن للامام ان يأذن بصرف الغلة فيما يراه صالحاً من وجوه البر والاحسان وائى بر ارجح واولى من الجهاد في سبيل الله لاسيما في هذا الزمان الذي تألب فيه الصليبيون على المسلمين فتحوا عن سطح الارض كل ممالكه حتى لم يبق سوى الدولة العثمانية خلدتها الله ورفع بها منار الاسلام . واذ كانت الدولة الآن فيما ترى من الضرورات المالية فاي بر اولى من صرف غلات الاوقاف وغيرها في سبيل تأييدها

هل في الجزاء على العمل مصلحة

(سؤال) يزعم بعض علماء الافرنج ان الدين الاسلامي يأمر بفعل الخير حبا في ثواب الآخرة وينهى عن فعل الشر خوفاً من عذابها فهو لا يدعو لعمل الخير حبا في الخير المجرد ويستدلون على ذلك بكثير من الآيات القرآنية التي اولها ترغيب في عمل الخير وآخرها وعود بمكافآت شتى . وهم يزعمون ان ذلك كان سببا من اسباب انحطاط المسلمين لانهم اعتادوا عدم الاقدام على اى عمل مفيد لبلادهم ان لم يكن لهم من ورائه فائدة شخصية من اى نوع فما رأيكم . (١)

(الجواب) من المعلوم ان مراتب العاملين في الاسلام ثلاث فعامل يعمل حذرا من العقاب وطمعا في الثواب . وعامل يعمل حبا في الله تعالى وقصدا الى احراز رضاء فقط لا خوفاً من عقاب ولا رجاء في ثواب . والطبقة الثالثة عامل انما يؤدي التكليف لانها تكاليف فقط فلا رجاء له في شيء ولا خوف له من شيء . هذه مراتب ثلاث سردها الباحثون في اصول الدين وقواعده . ولا جرم ان افراد العالم الانساني ليست كلها في منزلة واحدة من العقل والادراك . وقليل من الناس من بلغ الدرجة التي يعقل فيها وجوب العمل للعمل كما تقولون . ولقد يزعم كتاب اروپا وعلماء التربية فيها ان قاعدة التربية والاصلاح بينهم تعويد نابتهم منذ الحداثة لعمل حبا في العمل والطاعة اتقيادا للواجب . كذلك يزعمون ويتبجحون والله يعلم ماذا يعملون . على انه يكفي المتصف ان يشاهد ماذا تفعل الامم الاوروبية بالامم الاخرى مسلمها ويهودها وبوذيتها وبراهمتها فان في ذلك ما يدل على حقيقة تربيتهم والتعاليم التي يتلقونها خلال ايام دراستهم وانشاء سنى حياتهم الاولى . وماذا يريد المتصف من الادلة بعد فظائع البلقان ومنكرات المدينة الاوروبية التي كشفت عنها الحروب الحاضرة .

اما الخوف من وقوع تلك الاوراق التي بها القرآن في ايدي من يهينونها من غير المسلمين فهذا كما ينطبق على الصحف السيارة كذلك ينطبق على المصاحف التي تطبع كل يوم في كل بلدة اذ في استطاعة غير المسلمين ان يحصلوا على ماشاؤا منها وان يفعلوا بها ما تسول لهم نفوسهم . اذا يجب ان تكون نيات العاملين في امثال هذه الاحوال هي مناط تكاليفهم ومبنى احكام معاملاتهم عملا بالحديث الجمع على صحته (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى)

فاذا كانت نية ناشر القرآن في الصحف السيارة ارغبرها هداية الناس وتبليغهم آياته فهو بذلك مأجور مثاب وان قصد شيئا مما لا يليق بكرامة القرآن الكريم فان ذلك قد يكون والعياذ بالله كفرا . فمضى ان تبيح الحكومة العثمانية بعد الآن نشر القرآن الكريم في الصحف قاطبة حتى يتمكن الدعاة من نشر القرآن في المسلمين لتذكيرهم بآياته الكريمة وهداياته البالغة .

الأحاديث المكذوبة والكتب المشتملة عليها

(سؤال) هل يجوز نشر الكتب المشتملة على الاحاديث المكذوبة او الضعيفة المتعلقة بالمسائل الفنية او العلمية او الظواهر الطبيعية من غير ان تقرر بما يلزم لها من الانتقاد مع ان في نشرها تضليلا لعقول المفكرين او تنفيرا من الدين لنفوس المسامحين او محالا فسيحا لطعن الطاعنين من اليهود والنصارى فيكثر بذلك خصوم الاسلام ومحاربه .

(الجواب) نحن نرى انه يحرم نشر كل ما من شأنه ابداء الشريعة الاسلامية وتفسير النفوس عنها . فالكتب المشتملة على الضلالات والخرافات والاسرائيليات يحرم نشرها واقتنائها لغير القادرين على الاعتصام من اذاهم اذا كانت تذكر تلك الضلالات مجردة دون نقد وتمحيص مثل تفسير الخازن وتبنيه الغافلين واشباههما . ويأخذ الوفاق من رجال الفتوى الرسميين من ينقذ الشريعة الاسلامية فيفتي بتحريم نشرها وابتلاعها حتى تسلم نفوس النابتة الاسلامية من وساوس الاوهام والشكوك . وقد المعنا الى هذا الموضوع في التفسير الذي صدرنا به هذا العدد فليرجع اليه فحسب القارئ ما فيه .

مراتب بعض احاديث

(سؤال) ما مراتب الاحاديث الآتية اصححة هي ام غير صحيحة (١)

على ان الاسلام اذا رغب المسلمين في اثواب الاخرى وحذرهم من عقاب الله فان في ذلك من الفوائد مالا يكاد يدخل تحت حصر . او ما نرى المسلمين كيف بلغ بهم حب الآخرة والطمع في النعيم الحلد ان يستهينوا ويستخفوا بالموت الزوام حتى ضربت بهم الامثال في الشجاعة والبسالة البالغة حدا اعجاز

اما الخوف من العقوبات الاخرية فانه من ضروريات الحياة الاجتماعية . ذلك ان من الخطايا والآثام مالا يمكن للقوانين الوضعية محاربه وصدده ومالا سبيل الى ردع النفوس عن غوايتها بما يسمونه بالتربية الحديثة الاروية . ولولا ما يعتقده الناس من اخبار الآخرة وعقوباتها ومثوباتها ماسلم احد من الخسوع لاحكامها وترويح فاحشتها . فمن تلك الآثام والخطايا الفظيعة الكذب والغيبة والنميمة واشباهها فان هذه الكبائر الفظيعة لولا خوف الناس من العقوبات الاخرية التي شرحتها الاديان للارهاب والتخويف وردع النفوس عن اتيانها لعمت الافراد وفسدت الجماعات وقطعت الاوصال . اما قولهم ان التربية الحديثة المنقطعة عن الارتباط بالاديان والشئون الاخرية كافية في محو تلك الرذائل والكبائر من نفوس البشر فهذا مالا يتجاوز غير الكتب والمبارات اللفظية . اما المشاهدة فقد دلت على ان التربية اذا لم تبين على الدين فهي ضلال مبين

القرآن والجرائد

(سؤال) (١) لاحظت في دار الخلافة الاسلامية وفي جميع الممالك العثمانية ان الصحف السيارة لا تنشر شيئا من القرآن الكريم او تستشهد بآيات منه حتى تكون عظة للناس وقد بحثت فوجدت ان الحكومة تمنع ذلك منعاً باتا ولقد علمت بعدئذ انهم يخافون ان تقع الجريدة في يد غير المسلم فلا يحترمها وربما استعملها في عمل لا يجوز وحشئت فكانه لا يبين القرآن الا أهله . افيدوني هل ما قد رسخ في افكار العثمانيين من هذه الوجهة صحيح مع ان القرآن انزل ليعلمه الناس فيتعظوا بمواعظه وتكون أمثاله عبرة لهم

(الجواب) نعم علمنا ان السبب في تخرج الصحف السارة عن نشر آيات القرآن هو منع الحكومة العثمانية لها من ذلك للاسباب التي بسطتموها في سؤالكم هذا . والذي نراه ان نشر القرآن في الجرائد من انجح الوسائل لتتوير بصائر المسلمين وتفيهم في دينهم وتذكيرهم بأداب الله المودعة في كتابه الكريم فانه هو الكتاب الذي انزل ليتدبره الناس فيعملوا بما فيه لا ليوضع في الصناديق ويحفظ في الخزائن . وكلما وقعت المبالغة والاغراق في نشر القرآن الكريم بكل الوسائل الممكنة كان هذا البق بما وجب على المسلمين من التبليغ المبين وامثل بفريضة الدعوة الصحيحة الى الاسلام .

(أ) من زار قبري وحيث له شفاعتي

(ب) ان الله ليؤيد هذا الدين على يد الرجل الفاجر

(ح) لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها

(د) ان الاسلام بدا غربيا وسيعود غربيا كما كان (١)

(الجواب) اما الاول فقد رواه الهيثقي في شعب الايمان وعبد الله بن عدى

كلاهما عن ابن عمر بسند ضعيف

واما الثاني فقد ورد في الجامع الصغير بلفظ (ان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال مأم من أهله) قال المناوي لكونهم كفارا او منافقين او فجارا . رواه الطبراني عن ابن عمر وابن العاصي . وهو حديث ضعيف .

وقد ورد حديث القسطنطينية المذكور آنفا في الجامع الصغير مرويا عن الامام احمد في مسنده والحاكم في مستدركه كلاهما عن بشر الغنوي باسناد حسن وقد رواه في الجامع الصغير ايضا بلفظ (ول جيش من امق يفزون مدينة قيصر مغفور لهم)

والظاهر حمل هذا الحديث على محمد الفاتح وجيوشه لانهم الذين فتحوا بالفعل القسطنطينية وغزوها واما حمله على معاوية او يزيد ابنه فهو غير صحيح لانها لم يفتحها ولم يغزوها .

اما حديث ان الاسلام بدا غربيا الخ فقد روى عن عثمان بن عبد الله العناني عن حماد بن سلمة عن محمد بن قيس عن انس . وعثمان بن عبد الله المذكور ضعيف . وورد ايضا من طريق بكر بن سليم اللديني عن ابي حازم عن سهل . وقد سئل ابن معين عن بكر هذا فلم يعرفه .

وقد رواه مسلم وابن ماجه عن ابي هريرة والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود ورواه ابن ماجه ايضا عن انس بن مالك والطبراني عن سليمان وسهل بن سعد وابن عباس جميعهم بلفظ (ان الاسلام بدا غربيا وسيعود غربيا كما بدا فطوبى للغرباء) وقد فسر رسول الله الغرباء في رواية (٢) بانهم الذين يصلحون ما افسد الناس من بعده من سنته اي ان الذين يعتنون باصلاح ما افسد الناس من السنة يصيرون فيهم كالغرباء كما هو مشاهد في هذه الايام .

(١) السائل محمد افندي التركي

(٢) راجع صفحه ٢٩٦ من الجزء الاول من شرح السراج المنير على الجامع الصغير

باب الاحاديث الموضوعة

نورد هنا الاحاديث الموضوعة التي ذكرها المفسرون عند تفسير قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك الخ الآيات ليرى القراء ما تمسك به العلماء في تفسير كلام الله الذي انزله هدى وبشرى للمؤمنين ولينذروا تبصرة بما كتبناه في تفسير الآيات (١) عن ابن عباس انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنن لا يعلمهن الانبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما اخذ يعقوب على بنه لئن انا حدثتكم عن شيء فمرفتموه لتباينني على الاسلام فقالوا ذلك لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا عما شئتم قالوا اخبرنا عن اربع خلال نسألك عنن . اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة واخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والاشي واخبرنا بهذا النبي الامي الذي في التوراة ومن وليه من الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن انا انبأتكم لتباينني فاعطوه ماشاء الله من عهد وميثاق فقال نشدتكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن نأفاه الله من مرضه ليحرم من احب الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد عليهم وانشدكم بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان ماء الرجل غليظ ابيض وان ماء المرأة رقيق اصفر فايهما علا كان له الولد والشبه باذن الله . قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد وانشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامي تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد قالوا انت الان . فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجتمعك او تفارقك قال فان ولي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها تفارقك ولو كان وليك سواء من الملائكة تابعتك وصدقناك قل فما منعكم ان تصدقوه قالوا انه عدونا فانزل الله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل الخ الآيات

وفي رواية شهر بن حوشب بعد ما تقدم قالوا فاخبرنا عن الروح قال فانشدكم بالله وبأيامه عند بني اسرائيل هل تعلمون انه جبريل وهو الذي ياتيني قالوا اللهم نعم ولكنه عدو لنا وهو ملك انما يأتي بالشدة وسفك الدماء فلولا ذلك اتبعناك فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل الخ .

(١) قد حدثنا سند الحديث لطوله فليرجع الى تفسير ابن كثير والطبري من اراد الوقوف

وفي رواية اخرى، عن ابن عباس من طريق آخر قال اقبلت يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا يا ابا القاسم اخبرنا عن خمسة اشياء فان انبأنا بهن عرفنا انك نبي واتبعناك فاخذ عليهم ما اخذ اسرائيل على بنييه اذ قال والله عني ما تقول وكيل . قال هاتوا . قالوا فاخبرنا عن علامة النبي قال تمام عيناه ولايتام قلبه ثم سألوه عن ماء الرجل والمرأة وما حرمه اسرائيل عن نفسه فاجابهم بمثل ما تقدم في الرواية الاولى قالوا اخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيديه اوفى يديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث امره الله تعالى قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال صوته قالوا صدقت . قالوا بقيت واحدة وهي التي نتابعك ان اخبرتنا بها . انه ليس من نبي الا وله ملك ياتيه بالخبر فاخبرنا من يصاحبك قال جبريل عليه السلام قالوا جبريل ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال والمذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان فوزل الله قل من كان الخ الآيه وفي رواية عن انس بن مالك قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يحترف فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي . ما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه والى امه قال اخبرني بهذه جبريل آتفا قال جبريل قال نعم قال ذلك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك وما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال اشهد الا لا اله الا الله وانك رسول الله . يارسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل ان تسألهم بهتوني فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله بن سلام فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم قالوا اعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال اشهد الا لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا

وفي رواية ان الآيات نزلت من اجل مناظرة جرت بين اليهود وبين عمر ابن الخطاب في امر النبي صلى الله عليه وسلم . عن الشعبي قال نزل عمر الروحاء فرأى رجلا يتدرون احجارا يصلون اليها فقال ما بال هؤلاء قال يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى هاهنا قال فكفر ذلك وقال ايما رسول الله صلى الله عليه وسلم ادر كته الصلاة بواد صلاها ثم ارتحل فتركه ثم انشأ يحدتهم فقال كنت اشهد اليهود يوم مدراسهم فاعجب من التوراة كيف تقاتل التي آت

ومن القرآن كيف يصدق التوراة فيينا انا عندهم ذات يوم قالوا يا ابن الخطاب ما من اصحابك احد احب الينا منك قلت ولم ذلك قالوا لانك تغشانا وتأتينا فقلت اني آتيكم فاعجب من القرآن كيف يصدق التوراة ومن التوراة كيف تصدق القرآن قالوا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابن الخطاب ذلك صاحبكم فالحق به قال فقلت لهم عند ذلك انشدتكم بالله الذي لا اله الا هو وما استترعاكم من حقه وما استودعكم من كتابه هل تعلمون انه رسول الله قال فسكتوا فقال لهم عالمهم وكبيرهم انه قد غلط عليكم فأجيبوه قالوا فأنت عالمنا وكبيرنا فأجبه انت قال اما اذا انشدتنا بما انشدتنا فأنا نعم انه رسول الله . قلت ويحكم اذا هلكتم قالوا انا لم نهلك قلت كيف ذلك واتم تعلمون انه رسول الله ولا تتبهم ولا تصدقونه قالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلمنا من الملائكة وانه قرن بنبوتة عدونا من الملائكة قلت ومن عدوكم ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل وسلمنا مكائيل قال قلت وما منزلتهما من ربهما قالوا احدهما عن يمينه والاخر عن يساره قال فقلت فوالذي لا اله الا هو انهما والذي بينهما العدوان لمن عاداهما وسلم لمن سالمهما وما ينبغي لجبريل ان يسلم عدو ميكائيل وما ينبغي لميكائيل ان يسلم عدو جبريل قال ثم قت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فالحقته وهو خارج من خوخة بنى فلان فقال يا ابن الخطاب الا قرأك آيات نزلن قبل فقرأ على من كان عدوا الاياه قال قلت باني وامى يارسول الله والذي بعثك بالحق لقد جئت وانا اريد ان اخبرك وانا اسمع اللطيف الخبير فسبقني اليك بالخبر وفي رواية عن عبد الرحمن بن ابى ليلي ان يهوديا لقي عمر بن الخطاب فقال ان جبرائيل الذي يذكره صاحبكم عدونا فقال عمر (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين) قال فنزلت على لسان عمر (١)

وهذه الروايات ان صحت نسبتها الى نفر من الصحابة فانه كان النرض حكاية ما كان متداولا بين ثابنا عند اليهود

الخلاصة

مستقبل الدولة عليه وأوروبا

اتضح من الحرب البلقانية ان اليونان والبلغار والصرب والجبل الاسود قد اتفقوا على اختلاف مذاهبهم ودعاتهم في هذه الحرب فكانوا يدا واحدة ولقد اظهرت لهم هذه الحرب انه مادامت حكومة من حكومات البلقان مظاهرة للدولة

تفسير ابن كثير صفحة ٢٢٨ - (٢) راجع ما كتبه في تفسير الآيات وبيناه بدرجة

العلية او مصافية لها فهم لا ينالون ما ربههم ولا يتمكنون من التشفى منها .
ولقد تبين ان انقضاء رومانيا خصوصا عن دول الاتحاد البلقاني مما يزعم
اركانه ولا يمكنه من التوصل الى مأربه ولما اشتدت الحالة بين رومانيا وبلغاريا
في الايام الاخيرة كانت البلغار في حيرة شديدة وبالطبع وجب عليها الا يكون
كل جيشها موجها الى تركيا فانها اعدت جانبا منه على حدودها المتاخمة لرومانيا
خوفا من انه في يوم ما تنشب الحرب بينهما وهذا مما لاشك في انه يضعف قوة
البلغاريين ازاء تركيا ولا يمكنها من حشد جميع جنودها على حدود الدولة .
ان مركز رومانيا الحالي وبقاها مصافية للدولة العلية مما يزعم قوة الاتحاد
البلقاني والامم السلافية خصوصا الصرب والبلغار واذ اقدر عدم وقوع تحالف بين
رومانيا وتركيا فان اقرب النتائج ان تكون رومانيا مجازا بين ادولة العلية
والمانيا وهو الامر الذي ليس يخاف منه الاتحاد البلقاني فقط بل الائتلاف المثلث
كذلك لانهم لا يودون ان يكون بين الدولة العلية والمانيا حلقة اتصال بل ان
جل قصدهم ان تكون منعزلة وحدها .

ويحق لحكومات البلقان المتفقة ان يخفن من عزلة رومانيا عنهن اكثر مما
يخفن من النمسا ذلك ان النمسا لها مطامع كثيرة في اراضي الدولة .
فحكومات البلقان لا يتوقعن ان تتفق النمسا وتركيا اتفاقا يضر بمصالحهن
الحوية .

فهم يريدون الآن الا يكون من بين حكومات البلقان ما يظاهر الدولة
العلية او يضافيها فقامت البلغار الان تصرح بلسان احد وزرائها انها ستعمل كل
ما في وسعها لقبول كل ما يمكن قبوله من طلبات رومانيا فانترى في الكتاب الذي ارسله
المسيو دانف الى الطان كيف اضطرت بلغاريا ان تترك سياسة الشدة مع رومانيا
ورفض اغلب مطالبها فلان تنازلت وستجيب اكثر مطالبها وذلك ان رومانيا
طلبت تعديل الترخوم واجراء التضمينات اللازمة وهي تعدان في اجابة هذه
التضمينات سيكون اخلاص مودة بين الجارتين . فاذا كان جواب بلغاريا بعد
عودتها الى سياسة اللين واستمالة رومانيا اليها ؟ كان الجواب

(ان هذه الصداقة نجها ونودها) كذلك كان الامر معنا فلقد وعدنا بأن نرفع
هذه القلاع لانها ليست ذات اهمية كبرى وهي تحد بجانب سيلستريا .
ومن جهة اخرى قد منحنا رومانيا المقاطعة التي على هيئة زاويتين رؤوسها
في حدود رومانيا وتمتد الى على شاطئ البحر الى جنوب ميناء رومانيا وهي

(ماتجاليا) التي تبعد بمقدار اربعة اميال من حدودنا ولذلك فهي تكاد
تصاح ان تكون نفرا بحريا .
اما مسألة الحدود فهي تحصر في نقطتين محدودتين الاولى : انه بالنسبة
لسيلستريا تلك البلدة التي يبلغ عدد سكانها ٢٠٠٠٠ نفس لا يمكننا ان نتنازل
عنها لانها المركز المتمدين واحوالها المسورة ينذر وجود مثلها في
في مملكتنا .

الثانية — تعيين النقطة التي ستمس بها الحدود بحرا فهذه قد تكون اذا لم
يلحق نفرا العظيم (وارنه) اي ضرر بجانبها .
وفي النهاية قد قبلنا جميع طلبات رومانيا بالنسبة الى كاتولكس بمقدونيا
وهذه هي النقطة الرئيسية ونحن نوافق على اعطاء مدارس وكنائس كاتسودليكس
الحرية في استعمال اللغة والاستقلال في الادارة حتى اننا لنوافق مع اعتبارها
في جملة حدودنا ان تدار شئونها بأموال الحكومة الرومانية .
اننا نؤمل ان يسهل الطريق لأن تتولد الوطنية من جديد وهي التي ستكون
(وطنية البلقان العامة)

ضحايا المدنية المسيحية

في القرن العشرين

مظالم البلغار في چتالجه

جاء بحريدة ترجمان حقيقت بتاريخ ١٣ فبراير سنة ٩١٣ تحت العنوان
السابق ما يأتي :

جاء اليوم من چتالجه اخبار خصوصيه موثوقة تفيد ان البلغار في هذه
القطعة قد اعدوا صفحات مظالمهم الجديده فلقد احرقوا جميع القرى بما فيها
من اهلها المسلمين بخلاف حيرانهم الصليبيين فهم منعمون لم تسهم يد تلك
المظالم بسوء وحين وصلت العساكر العثمانية الى القصبة (چتالجه من ثلاثة
ايام مضت صادفوا هذه الفاجعات المحزنة والاعمال الوحشية .

ولقد رأوا ان البلغار قد اتخذوا الجوامع الشريفة اصطبلات لحيولهم وكذلك
لوثوا المقابر الاسلامية كما وجدوا منازل المسلمين قد خربت والعائلات مشتة
ومضطربة واطفالهم الرضع قد اعدموا في هذه الفظاظة والغلظة .

ومما جاء بحريدة البلاغ البيروتيه ما يأتي

ذبح المسلمين في البانيا - تأكد ان الجنرال الصربي استفان توتش قد اصدر امرا الى جنوده باطلاق المدافع على قسم عظيم من المسلمين وقد تم هذا الامر بسهولة دون ان يصادف هؤلاء الجناة زاجرا يصدهم عن هذه الامور الفظيعة. وقد قتل الجنرال زركو فيش ايضا الى نفس من الالبانيين المسلمين بالقرب من سيمتكة اما الفظائع في مقدونيا فكثيرة اهمها تشكيل لجان ثورية بلغارية غايتها الاغارة على احياء المسلمين والفتك بهم وقد نكل هؤلاء بالمقدونيين الذين اعتنقوا الاسلام منذ الفتح لتركي تسكيلا هائلا ولم يكتف الجنرال الصربي جانتكوفيش في خلال اغارته على الساحل الادرياتيكي بذبح الالبانيين المسلمين بل تعدى



كف فعل البلغار بالمسلمين

ذلك الى عمل ما هو اشد هولاً على النفوس من القتل والتسكيل وهو القاء النساء المسلمات وهن احياء في النار المضطربة الملتبة التجأ الصربون الى كل هذه الرذائل وفعل مالا تنطبق عليه الانسانية ولا التمدن حين سمعوا الكهنة قد صرحوا بان من الواجب الا يبقى مسلم حتى تتوفر اسباب الراحة في المستقبل للبلقانيين

وقد كان القتل في (برشتنة) عاما ولم يترك الصربون مزارعا الا قتلوه ولا حقلا نضرا الا احرقوه وحين كان الاهلون يتركون المنازل فرارا من هول ما ينظرون تتبعهم الجنود وتصلبهم النيران الحامية . اما الاطفال فكانت تذبح امام امهاتهم والشيوخ تقص شعورهم البيضاء ثم تمزق صدورهم بأسنة الحراب .

ولقد هتك الصربون في ليلة واحدة كرامة ٣٥٠ عذراء من الفتيات المسلمات امام الاءاء الذين كانوا يشكون هذه الفظائع وقلوبهم تتلظى بنيران اليأس والقنوط . اما جثث المسلمين فكانت مكدسة في الشوارع وقد تراكم حولها جمهور من النساء يندبن باصوات تذيب القلوب وصادف ان شقيا بلغاريا اطلق رصاصة مسدسه على مسلم فإخطأ واصاب روميا ارداه قتيلا للحذل فهاج المسيحيون على اثر ذلك وتسلحوا بكل سلاح من شأنه ان يودي بالانفس واعملوا المذابح بالمسلمين ولقد زادهم بغيا وعتوا على عتوهم وبغيتهم حث المطران اذ كان يحضهم على اضطراد هذا العمل دون ان يحنلوا بأمر ما .

اما ماكان في (برانا) فان الجليليين قد فتكوا بالمسلمين فتكا ذريعا وكانت نساؤهم تدخل البيوت الاسلامية وتنهب ما فيها حتى اضطر اكثرهم الى المهاجرة الى اسقودره .

وقد نشرت جريدة منتاع زيتنغ كتابا ارسلت به سيدة نمسويه في قوله الى اخيها في فينا اليك خلاصته. دخل المدينة قوله منذ شهر خمسة لصوص او بالحرى خمسة من انصار عصابات الاشقياء المأجورين بأموال الحكومة البلغارية فأسروا حاكم المدينة واعلنوا على رؤوس الاشهاد ان المدينة أصبحت بلغارية . وماكاد الاروام من المدينة يسمعون هذه الاقوال حتى هتفوا بسرور وابتهاج واقاموا مظاهر الافراح وانضموا الى اللصوص وصاروا يتصرفون ويمملون كالذين خولطوا بعقلهم وبعد ظهر ذلك اليوم قدم ٣٠ شخصا من الاشقياء البلغاريين وكرروا مقالهم زملاؤهم بان المدينة أصبحت تحت حكم بلغاريا فحفز الاروام الى استقبالهم مع الاسقف اليوناني وكانت النساء الروميات تضع الازهار والرياحين على بنادق

الاشقياء ونواقيس الكنائس تدق وتلايلات انوار الزينة في المساء في كل الاحياء الرومية

ولما كان اليوم الثاني اخذ البلغاريون يرتكبون الفظائع ويطاردون العثمانيين مطاردة الصياد لقيصته لا لاذنب اقترفوه بل لانهم مسلمون . فألقوا القبض على كثير من المسلمين والاعيان وغيرهم وزجروهم في السجون واستعانوا لارتكاب هذه الموبقات باثنين من الارمن وسدهش الامم المتمدنة (!!!) من صدور مثل هذه الفظائع الهائلة في القرن العشرين من قوم مسيحيين وكان البلغاريون يسوقون المسجونين المسلمين في نصف الليل ويشدون وثاقهم وبعد ان يذيقوهم العذاب الوانا واشكالا يعملون فيهم سيوفهم وأسنة حراهم ويطلقون النيران عليهم فيقصون عليهم القضاء المبرم وكانوا لا يحترمون الشيوخ ولا الاطفال ولا النساء بل يقتلون الجميع بلاشفقة ولا انسانية ومن ذلك انهم قتلوا اول ليلة في قوله ٣٩ ثم ثاني ليلة ٥٠ شخصا مسلما وهكذا حتى بلغ عدد الذين قتلوه في قوله وحدها ١١٥ شخصا

اما في سيروز الوافعه على مقربة من قوله فقد اعطى احد القواد البلغاريين جيشه مهلة ٢٤ ساعة للفتك بالمسلمين وعلى ذلك صار البلغاريون يقتلون المسلمين حتى قتلوا ١٢٠٠ مسلم

وقد حصلت في بلدة (كرنسي) فظائع رتجف القلم من تسطيرها وتشمع الابدان من ذكرها وذلك ان مسلحي هذه البلدة لجؤا الى المساجد قاتلوا البلغاريون أثرها وهناك مثلوا بهم ومن قوهم تمزيقا . وكانوا يرتكبون كل هذه الاعمال بأسم الصليب ويدعون تمجيد فاطر السموات جل شأنه . وختموا مساوئهم في هذه المدينة فقطعوا رأس احد الاغنياء من المسلمين وعلقوه في مكان مرتفع ووضعوا في فيه مسمما

اما في مدينة (شريسبان) فقد اباد البلغاريون كل المسلمين برمتهم ثم عكفوا على اليهود فآلقوا القبض على الاغنياء وعذبوهم عذابا شديدا ولم يطلقوا سراحهم الا بعد ان قبضوا منهم ١١٠٠٠ جينه

ونشر الجرنال (ذي بودابست هراب) مقالة مسهبة بها تفصيلات جديدة عن الفظائع البلقانية فقال :

كل العالم عرف ان مؤتمر الصلح بلندن قد فحص كل امر ألا أولئك

الاثوف من الرجال والنساء والاطفال الذين ذبحوا وهتكوا وصلبوا وقذفوا في النار احياء من غير مسوغ شرعى ولا مبرر لذلك العمل . ولم يوجد في اوروپا المتحضرة فرد فكر في تلك القرى والبلدان التي احترقت والمدن التي دمرت .

ثم استشهد الكاتب تفصيلات جديدة اخذها من منبع رسمي موثوق به قسمها كما يأتي .

(اولا ذبح الصرب للالبانيين) ان المسجونين من الالبانيين قد عذبوا عذابا شديدا ثم بعد ذلك دفنوا وهم احياء . ولقد قال سكرتير قصلنا في ميتروقينا (دادونج فون تاهي) انه رأى بعين رأسه الصربيين وهم يذبحون الالبان جماعات جماعات ثم يرفسون جثثهم الهامدة الميتة باقدامهم . وفي انشاء قتل الالبانيين في (برزپند) رأى هو ايضا ان عساكر الصرب يجرون الاطفال الصغيرة في الشوارع ويرتكبون الفظاعة معهم علنا وان البنات الصغار والنساء كن في شدة الرعب والخوف وكن مجتمعات في حوش القنصلية النمساوية في (برزپند) وقد حدث في اسكوب وكيمانوفاو قل ان العساكر العثمانية الذين تمكن منهم الصربون قد قطعت رقابهم بينما كانت النساء والاطفال البريئة تقتل امام اعين قصلنا هناك وناهيك بالملثات من الجثث التي شاهدناها طافية في نهر الفاردار حين كانت تقتل العساكر العثمانية المسجونة في طريقها الى بلغراد وينش .

ثانيا (فظائع البلغاريين) ان ما ذبح في ولاية سلانيك من النفوس البريئة الموحدة بالله على يد البلغاريين بنيف على النصف ولقد نجحنا نحو من ٥٥٠٠٠ رجل مسلم لاعتناقهم الدين الكاثوليكي كما انه حدث هذا الفعل نفسه في ولاية بتريس وميلق وديم حصار ومسترامينزا وعثمانجه وسيريس . واما الاتراك في هذه الجهات فقد الزموا بالانشقاق عن تركيا وقبول التبعية البلغارية .

واما في راد وفستاوفي (افرا زيسار) فلم يبق مسلم واحد حيا . ولقد دفن نحو من خمسة آلاف امرأة احياء بأمر رئيس الفرقة (سانداسكي) وكن قد اتخذن الجوامع الشريفة حصنا لهن بجوار سيريس ويمكن ان يرى من هذه الجثث تحت هدم جوامع تيتوقار رفيترا التي دمرت بالنار . واستمر ذبح الادميين في ستادشاه عشرين يوما فنهزم ٩٦٠ مسلما قتلوا عمدا في الوقت الذي كان فيه البلغاريون يذبحون ٢٠٠ مسلم في (تواران) و ٩٠ رجلا في القرية الصغيرة .

ثم ان السكان الاتراك في (كراسابالا والوزير وفيسيتليدي وبولناس) اجبروا ان يتدينوا بالدين المسيحي . اما ما ارتكب من النهب والسلب وانواع السرقات

جاوداروف وفاو الاروف يدبران الاحكام بصورة ظالمة للغاية وعندما اقتولت البلغار على القصة نشرت امراً بينت فيه المحافظة على حرية الاهالى ورجعهم ان يسلموا الاسلحة فامتثلوا الامر وسلموا السلاح ، وفي الحقيقة بقينا ثلاثة ايام او اربعة في كمال الحرية ، ولكن في سابع يوم اى في يوم الاربعاء سيق المأمورون والاهالى الى مركز الحكومة تحت السلاح ، فلو دعنا السجن واردنا ان نفهم السبب فقتلنا علنا نفهم بعض الحقائق فلم يزد الامر الا غموضا وبعد ان تركنا في الحبس اربعا وعشرين ساعة تكرموا علينا بقليل من الخبز فقط وفي اليوم الثانى اتانا بيبكاشى فبشرنا ان سبب حبسنا كان للتحرى عن السلاح وسيخلى سبيلنا بعد يوم او اثنين ، فسررنا بهذا التبشير لانهم لم يكن حبسنا في داخل القصة الصغيرة فان احدا فقدى احد الاشراف ومعه ثلاثة انفار بقوا في بيت محرومين من الحرية ، كمحصورين ، اما نحن المأمورين والاهالى فأنسا كنا متفكرين في شئوننا اكثر من الضغط على حريتنا داخل الحبس ، ولسوء الحظ لم يكن سرورنا ببشارة الخلاص الاساعة قريبا فقد اتى البكباشى و جاوداروف الى الحبس ، وابتدا في التحرى فوجدا بين التين صندوقين ممتلئين بالآلات النارية فلذلك اخبرونا بأننا سنموت جميعاً صلباً . وما كان وجود هذه الآلات النارية داخل الحبس الاحيلة مفتعلة مدبرة لاعدائنا اذ لا يتصور ان احدا منا يقدر على جلب هذه الآلات النارية الكبيرة ووردها تحت التين باى صورة كانت ، ولكن لمن نشككي ؟ وليتهم اكتبوا باعدام الاشخاص الذين وجدوا في دارهم الآلات النارية ، بل انهم جعلوا هذه وسيلة لاعداد العنصر الاسلامى الموجود في تلك القصة فلا حول ولا

وفي تلك الليلة لم يستحيوا من امضاء قرار الاعدام ، فقد قضينا تلك الليلة والى بعدها لاهم لنا سوى التفكير في كيف يكون اعدائنا ؛ ثم اتت الليلة الثالثة واتى فيها ذلك الظالم الذى ارتكب الجنايات العظيمة مع فئة من العساكر المسلمين فقرا ورقة حاوية لاسماء احد عشر شخصاً من رفقاءنا فذهبوا بهم ونحن عالمون مصير هؤلاء المساكين ، فشرد ذلك عن اعيننا النوم حتى لم يغمض لنا في تلك الليلة جفن وقد اتونا في اليوم التالى بغية اقناعنا بأن اخذ رفقاءنا امس كان لأجل ارسالهم الى قوله فهل يصدق ذلك ياترى ؟ ثم بقينا ثلاثة ايام اخرى بين الحياة والموت ، حتى اقبلت الليلة السابعة فأتى ذلك الظالم وبيده ورقة فضضاها وقرأ اسماء ثلاثة عشر شخصاً آخرين فأخذهم الى المذبح ايضاً ، ثم صاروا كل ثلاثة ايام اربعة يأتون السجن يأخذون مناعشرة او اكثر حتى اعدم منا اربعون شخصاً وكانوا عندما

فكثير جدا حتى ان (شاتنوبيف) رئيس فرقة اللصوص امكنه ان يحصل على مبلغ مليونين كرون في ايام قليلة وستصير هذه اللصوص اغنى الناس في البلقان وفي جوار (قوله) وفي البلد نفسها ارتكب البلغار يون فظائع مخيفة فسجنوا ستة واربعين رجلا من كبار الاتراك الوطنيين بينهم اديب بك الذى جرد ثم ضرب بعيار نارى وكذلك حدث لكثير من اليهود شئ من ذلك القتل والنهب

ثاماً (فظائع اليونان)

ان السائح من سالونيك الى خلوينا يرى المئات من الجثث الهامدة على جانبي خط السكة الحديد فينظر رجلا طاعنين في السن قد قطعت آذانهم ثم جثث النساء اللاتي اخرجت اعينهن ثم جثث النساء اللاتي علقت من شعورهن .

وبعد ذلك بقليل ترى اجسام الشبان الهامدة المنفصلة عنها الرؤوس وكذلك تنظر الاطفال الصغيرة مقتولة بين اذرع امهاتهم .

واما في مدلى فقد نتفوا ذقن الشيخ شارليشا وضربوه حتى خر على الارض صريعا ميتا من فوره

وكذلك احرقت منازل المسلمين فيها كما ان سكان يوليونت وكولونيا قد اسروا وسجنوا في مدلى ذلك حصل في الوقت الذى اجبرت فيه السيدات المسلمات ان يمشين في الشوارع عرايا لالباس ولا رداء عليهن .

ثم ان كاهنا يونانيا قتل حسن بك وثلاثة من رفقاءه بيديه . ولقد حصل مثل هذه الفظائع الوحشية في جزيرة طشوز وغيرها مما يجعل كل مسلم في هم وغم نيا من توقع ما قد يصيبه من الرزايا والبلايا اذا ما تحكمت فيه يوما ما احدى الامم الصليبية ،

وجاء بحريدة طنين بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩١٣ ما يأتى حضر الينا نفر من دده اجاج يقول ان البلغاريين في ناحية (قره جك) قبل ستة ايام قتلوا ثمانية عشر رجلا من مهاجرى المسلمين ولم يقتصر على هذه الفظاعة بل انهم كانوا يمتنون كرامة كل فتاة تجاوزت الاثنتى عشرة سنة

وجاء الى طنين من محمد نظمى بك . مأمورا بالدخول العموميه في صارى شعبان مكتوب بين فيه مظالم البلغاريين في تلك القصة فقال

استولت عصابة من اشقياء البلغار على القرية يوم الجمعة ثانى يوم من تشرين الثانى وفي اليوم الثانى مر بالقرية ثمانمائة نفر قاصدين جهة اسكجيه ، فبقى في المدينة

عن المدينة مسهدة ربع ساعة يقال له « تحت التين » فبعد موتهم بالرصاص يقع ارتكاب
أفحش الفظائع معهم وكانت هذه الأخبار تيجئنا يومياً ، فجعلنا ننتظر خبر الشهادة
دقيقة بعد أخرى وفي الليلة التاسعة عشرة اتانا يوزباشى بلغارى ومعه مدير مالى
يدعى بانكو فخلصونا من شر هؤلاء البغاة لاننا بقينا عشرة بعد ان كنا خمسين
وقد بقى رفاة الشهداء على الثرى اياما عديدة ولما وصل الخبر الى الاجانب الموجودين
هناك والى لوردين من انكلترا جاء لهذه الغاية وتوجها لمحل الحادثة وشاهدوا
رفاة الشهداء امام اعينهم . وجميع السلب والنهب الذى كان وقع فى تلك القصة لائن
البلغاريين استفادوا من حبسنا فهجموا على بيوتنا وسلبوا جميع مصادفوه
بعد يومين اثرلثة اتى قنصل انكلترا فى سالانيك ومعه مأمورون لهذه الغاية
فشاهدوا جميع ما حصل فتيقظ البلغار من هذه الزيارات المتتامة ، وعلى اثرها اتى
قائم مقام قوله البلغارى واعطى التنبيهات اللازمة ، وبعد ذهابه دفنوا هؤلاء الشهداء
فى مزرعة قريبة من المدينة فاقى جماعة من البلغار وغرسوا الارض المدفون فيها
اجسام هؤلاء الشهداء ، فاذنبهم يارى ؟ ماذا قصد هؤلاء الخائنون سوى محو
العنصر الاسلامى حق انهم عندما استولوا على المدينة حولوا الجوامع كنائس
وافهموا الاهالى انه لم تبق حاجة لهذه الجوامع ، وهامى اسماء الشهداء فى تلك
الحادثة

على رضا وكيل القائمة قام واحد مأمورى المعية ، محمد نعمت كاتب التحريات ،
محمد توفيق معاون المدعى العمومى ، حسن وراشد من اعضاء المحكمة ، عمر
المستطق ، احمد كاتب الضبط ، نائذ طامر دوقتور البلدية ، حسين وهبى كاتب
البلدية ، محمد وعزت من الحياة ، محمد من جياة البنك ، شعبان ونورى من معلمى
الرشدية ، مصطفى چاويش مباشر المحكمة ، رفعت ويوسف وتحسين وجمال من وكلاء
الدعوى ، صفوت بك والبقال رجب اغا وشريكه رضا من اشراف المدينة ،
نعلبند رجب ، راسم القهوجى ، حسن المهاجر ، محمد امام انجكز ، حسين
واحد حمدى من خدمة الحكومة ، حاجى رفيق ، عبدى وولده حسين من مأمورى
الاخراش ، على من ادارة الريجى ، الحلاق شريف وخمسة لم اعرف اسماءهم

صورة البطل الكبير رؤف بك
قومندان الدراعة حميده



وتدعو له سائر الانبياء
تكون العجاجة والهيمنة
ولكنها الله فى الميمنة
جلال الخلافة لا الفرصنة
ما تمنح النفس المؤمنة

القلوب جميع
رؤف يلم بوان كذب
تصدى يسارت سفينته فذة
فخاض البحار يقم منار
وجاء رؤف من المجزات

ولد هذا البطل الشهم فى جهة سلمايه (بالاستانه) ثم سافر الى طرابلس
القرب حيث بدأ دراسته هناك باللغة التركية ثم انتظم فى سلك المدرسة
البحرية . وقد كان نجيباً نكيا حتى انه تخرج فى المدرسة وهو يبلغ من العمر
الثامنة عشرة ثم اخذ يترن بتسيير السفن ثم نقل الى الدراعة (عبد الحميد) ثم الى
(عبد المجيد) وقد تعلم الايطالية والانجليزية واجادها وهو الآن لم باللغة العربية والفرنسية ثم
قائدا للدراعة (بك شوكت) وهو الذى اخذ الهياج فى سبب عام ١٣٢٤
وعين بعد ذلك قائدا لحمديه فكان يظهر فى كل مناورة بحرية مهارة يحرز فيها الدرجة

الأول . ولما قامت الثورة في اليمن ذهب في حجة عزت باشا وحضر احتفال تتويج ملك إنجلترا فيض وجه البحرية العثمانية . ولطالما تمكن هذا البطل من امداد اهالى طرابلس بالاسلحة والذخائر ولم يعبأ بالاسطول الايطالى

وقد بلغ الآن من العمر اثنين وثلاثين عاماً وكان ابوه من مستشارى المجلس البحرى . وهو الفريق محمد مظفر باشا . تلك صفحة من تاريخ ذلك القائد البحرى الهام الذى ادخل السرور والفرح في قلب كل مسلم بشجاعته واقدامه واعماله الجليلة . ادام الله حياتك يارؤوف ما عشت تريد بالاسلام والمسلمين والامبراطورية العثمانية خيراً .

الدارعة حميدية

لما حدث للدارعة حميدية هذه الايام من الانتصارات الباهرة آثرنا ان نأتى بفضلها من تاريخها المجيد . هذه الدارعة التى اصبحت ذكرها العاطر منتشرا في كل المدن والامصار طرادة مصفحة ابتاعها الحكومة الحميدية من امريكا في عام ١٩٠٤ وحينما جئ بها من القارة الاسيوية حدثت لها حادثة يحسن بنا ان نوردتها هنا ليعلم الملاة الاسلامى ما لهذه الباخرة الاسلامية من المنزلة السامية في نفوس المسلمين الذين زارت نفورهم

في احدى العشيات بينما كان اهل الجزائر كدأ بهم يرقبون عودة العثمانيين ببواخرهم الحربية التى تشق عباب تلك الصحيفة انلازوردية اذا بهم يرون نكتة سودا في عرض البحر حتى اذا ما استقرت لديها نظر اتهم اذروا انها باخرة . فشدما خفقت قلوبهم بين حنايا ضلوعهم . وسرعان ما جرت عبرات السرور في ما قيمهم ولكن لما ذاء هذا سر او دعت الطبيعة في النفوس البشرية ، ولا سيما تلك النفوس الحساسة التى برحت بها آلام الذل والشقاء . فهى تشعر بافراحها واتراحها قبل تزول الهناء او حلول العناء . كذلك كان الامر لدى اخواننا الجزائريين فقد هموا السرور عند رؤيتهم تلك الباخرة وطارت نفوسهم سراعاً اليها كما تعبير فراح الطير الى امهاتها لاول مرة يذبت فيها الريش .

ولم تمض سوى عدة دقائق حتى تمثلت الباخرة بوضوح للابصار الشاحصة اليها واذا بها رافعة فوق ساريتها العلم العثمانى . افرايت الماء الشيم الزلال كيف يبتدر به الظلمان في لافح الهجير ؟ كذلك كان شان الجزائريين من الراحة والحبور !

شاع ذلك النبأ في القسم الوطنى من الثغر فلم يبق من عجوز ولا من ابيض ولا من اسود الا اندفع الى الشاطئ اندفاع الامواج الكبيرة اليه . ومضت اول ليلة على هذا الفريق من المسلمين وهم لا تقمض لهم اجفان من شدة الابتهاج .

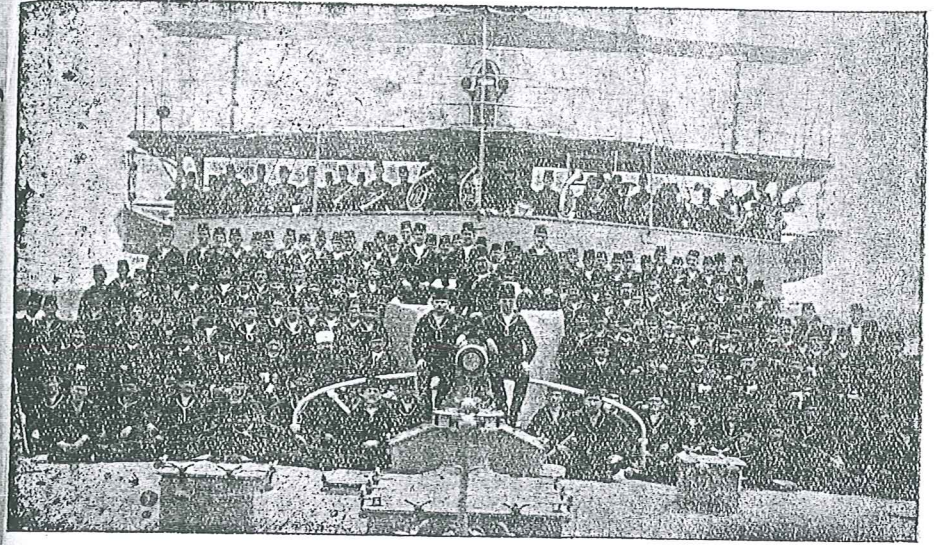
وفي اليوم التالى لم يبق حال ولا حودى ولا مسح احذية ولا بائع الا كان في زورق حول تلك الباخرة الحربية العثمانية التى يرفرف فوقها العلم العثمانى الاسلامى ، علم الهلال المحبوب فتخفق حوله الوف القلوب . ولقد ملا الهالى هذه الباخرة بتحفهم وهداياهم الجميلة النفيسة ما بين ما كل مختلفة الانواع ومشارب سائفة لذينة وفواكه وسواها من كل ما يطيب ويلذ .

اما هذه الباخرة فهى الطرادة حميدية التى كانت قادمة من القارة الامريكية ولقد كان يقودها ربان جمع بين المهارة في فنه والحدق في السياسة فرأى الايفلت هذه الفرصة الثمينة فيعرج على هذا الثغر الاسلامى ويدخل السرور على ابناء المسلمين بفهامهم انهم لا يزالون مرتسمين في ضمير كل عثمانى ذى وجدان شريف . انتهر ذلك الربان البارع هذه الفرصة وعرج على الجزائر بدون استئذان من الحكومة الفرنسية ولا من حاكم المستعمرة الجزائرية . فلما بوغت الحاكم بهذا النبأ ارسل في الحال من يستعلم من الربان عن سبب دخوله الثغر مع انه حربى وممنوع دخول البواخر الحربية الاجنبية فيه بدون استئذان فاجاب بان احدى آلات باخرته اصبحت بعطب قبيل وصوله الى الثغر فرأى ان يتجهل ريثما يصلح خلل باخرته . وكان قد اظهر عدم معرفة اللغة الفرنسية بتاتا ، ولما قبل عذره سئل عن سبب دخوله وهو رافع العلم العثمانى وعدم تحيته قلاع الثغر فاجاب بان البحارة الذين معه متوحشون ولا يعرفون الاصول وانه هو لم يخرج في المدارس النظامية ولم يتعلم الواجبات كاللازم وطلب التجاوز عن هذا الاهمال غير المقصود ...

وتناقلت الالسنه نبأ حميدية من مدينة الجزائر الى الداخل فهبوع مئات الالوف لرؤيتها من كل فج عميق فطلب الحاكم منه السفر فاعتل بقله الفهم . واتفق ان صرت ليلة من ليلالى المواسم الاسلامية على الباخرة حميدية وهى

رأسية في الثغر فامر ربانها بتربيتها بالاعلام الحربية وضاءتها بالانوار الكهربائية فامست آية للناظرين .

ولقد اراد الجزائريون ان يحتفلوا بموسمهم الديني حول الباخرة العثمانية فهرعوا افواجا من داخل البلاد وظلت السكك الحديدية طول النهار تنقل الالوف حتى اذا مال رخي الدجى سجدوه كان البحر مغطى بالزوارق والشاطئ مجمل البساط بنفوش بديعة من الجموع المحتشدة . وكانت هذه ابرك واهنا واجمل ليلة قضاه الجزائريون منذ عدة عقود من السنين !



الدراعة حميدية ورجالها

ولقد راع الحاكم هذا التظاهر الهائل وخشي العاقبة فطلب من الربان الاسراع بالسفر وخشى هذا ان تفحص باخرته فالتى ما فيها من الفحم في البحر ليلا واعتل بعدم استطاعته مبارحة الثغر وتصادف ان الفحم الذي كان موجوداً اذ ذاك لم يكن وافياً لاجحاجة الاسطول الفرنسي فقط فلا يمكن التفريط فيه فارسل الحاكم تلهرافياً يطلب فحماً من اقرب الثغور الفرنسيه اما الاهالي فحين نعى اليهم ان باخرة الخلافة الاسلامية خالية من الفحم وان الفرنسيين لم يزودوها من فحم المدينة عمدوا ليلاً الى مخازن الفحم فكسروا ابوابها واشتعلوا جميعاً بنقل مقادير كبيرة من الفحم الى الزوارق . ولم تشرق الشمس حتى كانت مئات الزوارق محيطة بالطرادة حميدية حاملة اليها ما هو فوق مرغوبها من الفحم .

وصعد وفد من الجزائريين الى الربان فقالوا له : لقد علمنا امتناع الفرنسيين عن اجابة سؤالك فما نحن اولاء حاملون اليك ماتريد فخذ مشكوراً ودعنا نحن تحمل تبعة عملنا كيفما كانت .

فأبى الربان قبوله وشكر حميتهم شكر أعظم وخطبهم خطاباً كله امل ورجاء في المستقبل . وعلم الحاكم بما حدث فامر بجمع الزوارق وارجاع الفحم . ثم جاء الفحم من من الخارج فأخذت الطرادة منه ماشاء . وفي اليوم التالي عولت على الرحيل فتغطى وجه البحر بالوف الزوارق ذوات الاشرعة البيضاء كأنها حمام في كبد السماء وقد اثقل ركابها الطرادة بهدايا تخرج عن دائرة الوصف والاحصاء . وما زالت الزوارق تحف بالطرادة حتى عجزت عن اللحاق بها فعادت بركابها وقلوبهم محلقة اثر تلك الراحلة العززة !

ومن هذا الوقت لم يقع لها شيء يذكر حتى جاء هذا البطل الهمام رؤف وامسك دفعة امورها اما في هذه الحرب فقد جاءت بما لم يأت مثله اسطول من الدرجة الاولى كاسطول ايطاليا الضخم فلقد ابليت حميدية بلاء حسنا في شواطئ بحر مرمرية حيث الجأت البلغاريين ان يولوا وجوههم بالفرار على قلة ماقدفته بخلاف الاسطول الايطالي فع كثره مالتى من ألوف القذائف لم يأت مائته الدارعة حميدية وفي واقعة وارنه ابدت هذه الدارعة من الاقدام وعدم التزعزع حتى بددت شمل النساء البلغارية الموجودة هناك ولقد عرفت كيف تصيب الهدف واذا كانت اصيبت في هذه الموقعة في درعها اصابة خفيفة فانما كان ذلك بسبب العواصف ولقد اطلقت حميدية قنابلها على وارنه دون ان يصدر لها اوامر من لوزارة السابقة فاصابت المرمى ومادام كتاب الله فوق اعلى ساريته فسيكون ظلا يحفظها من اصابة سهام الاعداء

ولقد حدثنا قوماندانها الفاضل مرة « اننى رافع كتاب الله الحكيم فوق اعلى سارية في مدمرتي فانا اجاهد في سبيل الله ولا اءلاء كلمته وانا معتقد انى لن امس بضرر مادام هذا الكتاب الكريم يظلل باخرتى بجناحي رحمته وقوته » وبعد الحوادث الآخرة خرجت الى الدردنيل تحفها العناية الربانية فأبليت بلاء حسنا ثم خرجت الى بحر سفيد دون اذن من الباب العالى وعلى ذلك تبرأ منها رئيس الوزارة السابقة واعلن الدول بذلك فذهبت اتزور المرافى الاسلامية المنتمشة لرؤية اسطول دولة الخلافة الاسلامية فزارت بورسعيد والسويس ويروت والبحر الاحمر فقابلت كثيرا من قطع الاسطول اليونانى فاغرقت وحطمت ما لحقتهم ذهبت الى جزيرة كورفو اليونانية فحطمتها ثم جاءت مالطه وهناك انتظرها خارج الميناء اربعة طوربيدات يونانية فلما خرجت شنت شملها ولم تجرأ واحدة على مصادمتها

المنفعة التي توقع الحسائر بالجبلين
والصريين كل يوم وقد علمنا
من اوثق المصادر ان الفوز الذي
نالته الجبلين اول الحرب انما
كان سببه انضمام فريق من
الارناؤود اليهم اما وقد رجع
هؤلاء الى صوابهم فان الجبل
سوف لا ينال الا الخزي والدمار
وقد اخبرنا احد الموظفين
هناك ان قوة اشقودرة لا
تقل عن ٦٠ الفا بينما جيش
الجبل لا يتجاوز الثلاثين الفا
ولو لا انضمام الصرب الى
الجبل لفك المحاصرون حصارهم
وقد اخبرنا هذا الموظف بان
من المستحيل اخذ اشقودرة
بالسيف ولذلك فان روسيا اخيرا
قررت بعد مرات من عجز الجبل
والصرب ضم اشقودرة الى



البانيا بعد ما كانت متمسكة بضمها الى الجبل الاسود لانها علمت ان الجبل اضعف ليس لديه قوة فان الحرب قد ذهبت بجميع ماله فانه في الواقعة
الاخيرة فقط قد قتل منهم وجرح نحو ١٠٠٠٠.

حسن رضا باشا بن نامق باشا
والى بغداد السابق تخرج من المدرسة
الحربية في الاستانة ثم اتم تحصيله
في المانيا سنة ١٣١٢ ثم عين في الفيالق
الثاني في مناستر الذي يرأسه وقت
ذاك ناظم باشا ثم نقل بعد ذلك الى
بغداد بوظيفة اركان حربها وبعد عين
قائدا للجيش العثماني في اشقودرة وقد
كان يعجب به استاذة فوندرغولج
لذكائه



والرجل في كل حركاته يتبع اصول
الفنون الحربية فلا عجب اذا رأينا

حسن رضا باشا بطل اشقودرة مشتغيات لجيل الاسود قد غصت
بالجرحى وان المهارة التي يبد بها ذلك الاسد المصور في الدفاع عن عرينه
ولمحافظة على بلاده قد احرزت اعجاب العلماء الحربيين حتى ان كثيرا قال ان ما
يبد به حسن رضا من الحركات يجدر بالباحثين في المسائل الحربية ان يقفوا على
حقيقتها لانها احدثت رقيا في الفن وزيادة في مسائله وقال آخرون ان حركات
حسن رضا وعلمه بالمسائل قد جعلته يفضل به اخوانه المحاصرين لان اولاء يدافعون
بالقلاع اما هذا فانه يدفع عدوان عدوده وبجمله الحسائر التي بهرت العالم بمنازيسه
ومما قلته التي انشأها

الغازي شكري باشا

جدير بالعالم الاسلامي ان يقف على حياة البطل الكبير الغازي شكري باشا
الذي يذود الآن عن حياض الاسلام ويدفع عدوان العابدين على كرامته ولذلك
رأينا ان نذكر نبذة يسيرة من حياته

ولد شكري باشا في مدينة ارضروم سنة ١٨٥٤ وكان ابوه ايضا ضابطا في الجيش
وهو من اصل الباني وكل اسرته في خدمة الجيش العثماني ولايه وعمه ما رعة عظيمة
في حروب القفقاس . ولما اتم شكري باشا دراسته في المدرسة الحربية العثمانية

تخرج برتبة ملازم مدفعية ثم ذهب سنة ١٨٨٥ الى المانيا لاستكمال محصيل
الفنون العسكرية ودخل شري باشا برتبة قائد مائة في الاي مدفعية الصحراء بالجيش
الالمانى وكان الجميع يعجبون بكفاءته وغيرته حتى ان الامبراطور وويلهلم الاول
كتب الى السلطان عبد الحميد رسالة يقول فيها لها وحدها باشا شكري في الاي
مدفعية الصحراء الالمانى مما يشرف
هذا الاي



ولما عاد شكري باشا من
المانيا الى الاستانة عين قائدا
للاي المدفعية الاول وعندما
زار الامبراطور وويلهلم الثاني
مدينة الاستانة استعرض السلطان
جيشه فابدى الاي المدفعية الذي
يقوده شكري باشا كفاءة وبهارة
عظمى حتى اهداه الامبراطور
وساما كبيرا

برهن شكري باشا على
كفاءة واقتدار في كل مهمة اسندت
اليه ولما غضب السلطان عبد الحميد
على حى شكري باشا ونفاه
الى دمشق نفي شكري باشا
ايضا الى ادرنه بوظيفة قائد لفرقة
المدفعية فيها وكان يومئذ برتبة
لواء ومن ذلك الحين اخذ شكري

شكري باشا

باشا في تعليم ضباطه وجنوده . وبعد ذلك ترقى شكري باشا الى رتبة فريق
وصار مفتشا على الجيش في ادرنه وبينما هو في هذه الوظيفة حدثت حوادث
خطيرة جدا فوقف شكري باشا تجاهها وقوف القدير الماهر ومن هذه الحوادث
ثورة مقدونيا الهائلة التي اندلع لهيها سنة ١٩٠٤

ظل شكري باشا مدة في سلانيك ولكن بدون عمل وكان يرفع الى السلطان
عبد الحميد التقارير العديدة لترقية الجندية

وقبل ان تنشب الحرب بايام قلائل انتدب قائدا لحماية حصون ادرنه فوصل
اليها قبل ان تعلن الحرب بخمسة ايام ومنذ هذه الايام استطاع هذا البطل ان
يحمل مدينة ادرنة تقاوم هذه المقاومة الهائلة

الاحوال في فارس

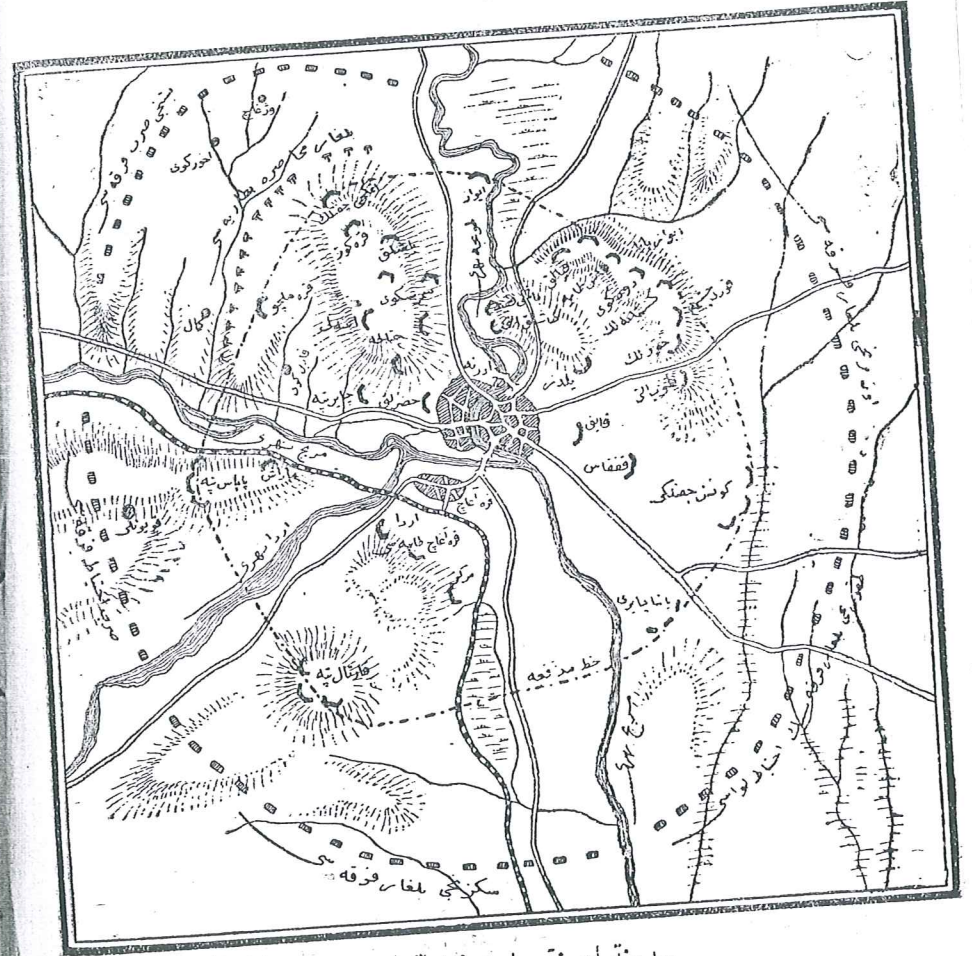
قد عهدت ادارة الجمارك في فارس الى رجل بلجيكي يقال له مسيومورنارد ولكن للفوضى القائمة في تلك البلاد يتولى ايضا جمع الضرائب الاخرى فهو هناك كناظر مالية وقد ظهر مقدار تداخل الجبلترا ونفوذهما هناك مما نشرته جريدة التيمس بتاريخ ١٨ فبراير سنة ١٩١٣ اذ تقول ان حاكم بوشير متأهب دائماً لاستماع نصائح الوكيل الانجليزي والعمل باشاراته . وستقيم الجبلترا خارج شط العرب منارة . ولمنع ادخال السلاح الى داخل بلاد العرب يقيم منذ زمن الامير ال بيزل بسفنه عند مسقط يراقب تلك السواحل بكل يقظة. ذلك لانه في اوائل الحريف الماضي تمكن التجار من ادخال كميات عظيمة جدا من البنادق والرصاص ونحوها للقضاء التام على الاتجار في السلاح هناك تقول التيمس انه لا بد من الزام سلطان مسقط باتباع نظام المراقبة المستعمل لمنع السلاح. بذلك تنسد الابواب في اوجه تجار السلاح ماعدا نهر جبوتيل وان كانت محاربة اولئك التجار والتصديق عليهم سيرجح مصنوعات المصانع الافغانية وتجارة السلاح في داخل فارس فان توقف حياة فارس وافغانستان على اوربا سيضمن للانجليز منعه بتاتا .

قدر عدد سكان فارس بمقادير مختلفة لعدم وجود الاحصاءات الرسمية والدائر على الالسنه انهم ١٢ مليوناً والورد كرزون جعلهم ٩ ملايين ولكن مكاتب التيمس يعتبرهم ٤ ملايين وسرد في ذلك تخمينات يزعم انها صحيحة . يوجد بفارس كثير من منابع زيت البترول ومن الراجح جداً ان المعادن الاخرى كثيرة لاسمها الماس والفحم الحجري . ولوضع فارس في صف البلاد الزراعية لا بد من اتفاق مال كثير على الرى .

وقد نشرت التيمس حديثاً مقالة افتتاحية تنبئ بوجود فكرة اعداد الحكومة الانجليزية لخدمة عسكرية لاحتلال جنوب فارس ومد نفوذها الى حدود المنطقة الروسية الشمالية وتقول جريدة المانشستر جارديان ان عمل الجبلترا هذا نتيجة طبيعية فان تصرفات روسيا في منطقة نفوذها الشمالية وتمكينها الشاه الخالوع واخاه من دس الدسائس وتدمير المكابد في حدودها مما يدفع الجبلترا الى سلوك هذه الطريق الاحتلالية الواضحة وقد تقلت عن بعض من لهم علاقات تجارية بفارس ان الحالة التجارية في جنوب فارس اسبغت بالغة الغاية في الانحطاط والكساد .

وقد ساءلت المانشستر جارديان نفسها على النحو الآتى هل من المنتظر ان تقدم الجبلترا لفارس ما طلبته من القروض منذ العام الماضي لتصلح به شئونها ؟ ام ان ملكة ايران سينتهى امرها بانقسامها بالفعل قسمين تحت حماية الجبلترا وروسيا حماية فعليه بزعم ان هناك اختلالات وارتباكات لا يمكن للحكومة فارس

جنود نالوارها وبددت جوع الجنود المحاصرة لها أما قائد الحامية فانه اخذ على نفسه ان يدافع عن دينه ووطنه ما بقي واحداً من الجنود معه وما بقيت روحه في جسمه ويمكن ان يعرف العالم الاسلامي مقدار ما انطوت عليه نفس الغازى شكرى باشا من الشجاعة والغيرة المؤن والذخائر يوجد عندنا بكثرة وان القوة المعنوية عندنا تزداد كل يوم وان العدو لم يستطع ان يلحق بنا اى ضرر بالرغم مما ارسله علينا من الصواعق والبران واني سادع عن الوطن المقدس حتى يفنى كل ما لدى من الجنود وبعد ذلك ادمر القلاع والحصون بعد ما نفى كل محاصرينا ونوقعهم من الحسائر ما لم يكن لهم في حسابان



مدينة أدرنة واستحكاماتها

إلى اروميا وان تفضل الشركة الروسية على غيرها في مد سكة حديدية ما بين تبريز وقزوین واجاب السيرا دوارد غراي في البرلمان الانجليزى بان هناك منافشات بين الحكومة الفارسية وبين المالىين من الانجليز في سبيل استخراج معادن تلك البلاد ومناجمها فما تقدم يمكن للقارئ ادراك عاقبة تلك المملكة الفارسية ومصيرها .

وآخر اخبارها ما نشرته
النوفيه بريسه في عددها
الصادر بتاريخه مارس
قال

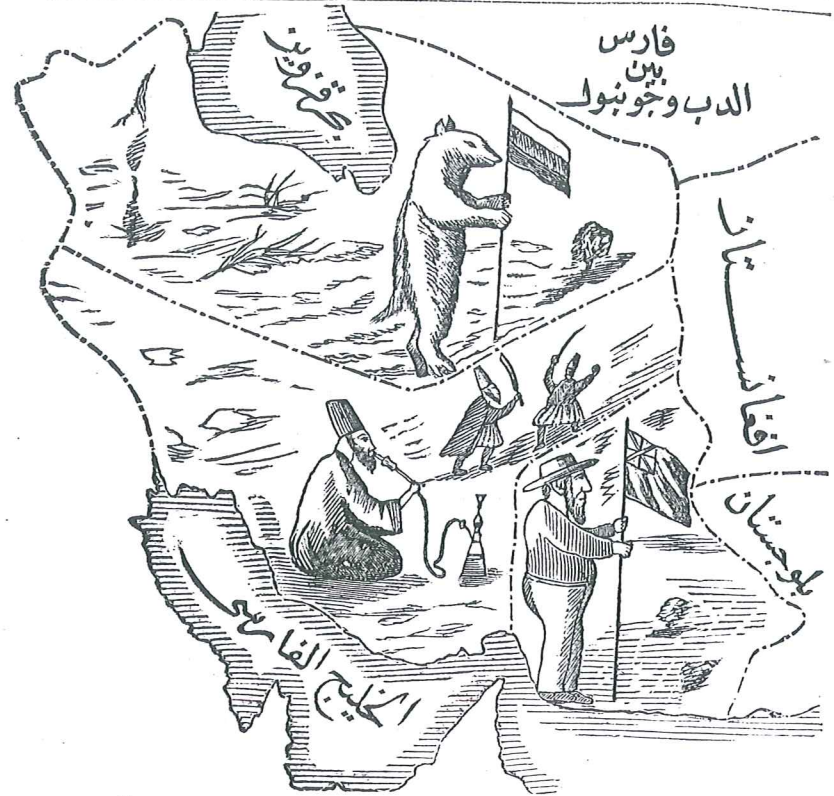
قابلت الدارعة
حميدية ٢٤ سفينة
يونانية فيها عساكر
صربية ومدافع صغيرة
يبلغ عددها ٢٤
واخرى كبيرة تباع
عشرة فاطقت حميدية
مدافنها على السفن
فاغرقت منها ثلاثة
او بعد مرور ثلاث
ساعات خرجت بعض
البواخر من خليج
سلانيك لا تقاذ بمض
ولغرق

علم ان عدد الفرق
بلغ خمسة آلاف



خط المدفاعة بالاكياس الرملية

في شاتلجه



هكذا تسائل تلك الجرائد نفسها اما نحن معاشر المسلمين فاننا نؤكد لها ان
انجلترا وروسيا لا يريد ان البقاء على فارس . وانها قسمتها اليوم الى ما يسمى
بمناطق النفوذ فانهما تمحوا ان عما قريب وجودها السياسى ولا حول ولا قوة الا بالله .
ومما يدل على ان فكرة احتلال جنوب فارس احتلالا فعليا موجودة بالفعل ان
الكلولونيل يات قال انه لا بد لاحتمال فارس من ارسال ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠
جندى فان لم يكن هذا فلا بد من ايجاد قوة وطنية عسكرية لا تقل عن ٥٠٠٠
جندى بشرط ان يكون ضباطها من الانجليز والهنود ويرى ايضا ان على الحكومة
الانجليزية التمتع عن منح فارس اى قرض الا بهذا الشرط
ويقول السير ادوارد غراي في مجلس النواب ان هناك آمالا كبيرة في تأسيس
سكتين حديتين احدها تصل تبريز بمدينة وولفا والاخرى تصل المحمرة
بخراباد وقالت برلينر اجابات ان مجلس النظار الفارسى قدمنح روسيا امتياز
مد سكة حديدية من وولفا الى تبريز وامتياز استخراج الفحم الحجري وزيت
البترويل من الاسمان التي حول هذا الخط وان يكون لها الحق في مد تلك السكة

شعور الأئمة الإسلامية

احتجاجات مسلمي الهند

لقد كان لتصريحات ملوك الحكومات البلقانية في بدء ظهور الحرب الحاضرة اسوأ اثر في نفوس المسلمين ولقد كان يخفف عن انفسهم بعد اعلانهم ان هذه الحرب صليبية رجأؤهم في ان دول اوربا العظمى لا تتو نحو حكومات البلقان البربرية المتعطشة منذ احيال الى دماء المسلمين ولكن هذه الدول قد اثبتت في العهد الأخير انهن لسن اقل تحاملا على الاسلام والمسلمين من تلك الحكومات البلقانية السافلة فلا غرابة اذا اثارت تصرفاتهن هذه نفوس ملايين المسلمين وهاجرتهم الى الاعتراض والاحتجاج على الدول اللببية الحاكمة عليهم فمن ذلك ان اهل الهند قد عقدوا الاجتماع تلو الاجتماع في مدائن الامبراطورية الهندية محتجين على ما سلكته حكومة بريطانيا وغيرها من حكومات اوربا في التحامل على الحكومة العثمانية والتجيز التام لحكومات البلقان فلتجيزى عنها باقتطاف بعض ماورد في الجرائد الاسلامية الهندية.

« باريللى »

عقد مسلمو الهند بمدينة باريللى في يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ اجتماع ادارت فيه مباحثات طويلة في الاحوال الحاضرة لاسيما الحرب البلقانية ثم قرروا في اجتماعهم ذلك ما يأتي (١) ان جميع الموجودين في ذلك المجتمع يعتقدون من صميم افئدتهم ان حكومة بريطانيا بدل ان تقدم لوضع حد للفظائع المنكرة التي يرتكبها البلقانيون مع المسلمين قد ضاعفت آلام الاسلام بأنضمامها الى سائر دول اوربا في تقديم تلك المذكرة الشديدة للباب العالى وذلك بالرغم من تصريحاتها بأنها ملتزمة بالحيدة والعزلة كما ان المجتمع مع هذا يحتاج على جميع المقدمات التي يتمسك بها في ارغام تركيا على قبول صلح يبين كرامتها

(٢) بما ان دول اوربا قد سلكت في معاملة تركيا مالا يتحمل من الضغط والقسوة فإن الجماعة الحاضرة ترى ضرورة اعلان الاضراب العام عن شراء بضائع ومحصولات تلك الدول وان يكون شراء الهنود قاصر على المصنوعات التي تعمل في الهند او تجلب من اليابان او امريكا او النرويج او السويد او بلجيكا او الدانمارك او سويسرا او نحوها لاهور

اجتمعت جماعات كثيرة جدا من المسلمين في لاهور في الثامن والعشرين من يناير تحت رئاسة المولوى محمد عبدالله البشاورى وقرروا في اجتماعهم ما يأتي : (١) ان السبعين مليوناً من المسلمين الموالين لحكومة امبراطورية الهند لا يعتقدون في هذه الحكومة ترغيب في سياسة الامبراطورية الهندية طبقا لرغائب

وعاياها من اهل الهند ولتقتهم في عدلها وانصافها يضرعون الى حكومة امبراطورهم ان تلتزم الحيدة المطلقة خلال مناقشات الصلح فلا تجنح الى الضغط على تركيا هذا اذالم ترغب في ان تحمل السلاح في سبيل مظاهرة تركيا ومساعدتها

(٢) ان يعلن المجتمع ثقة المسلمين في حكومة جلالة السلطان التي تبذل ما في طاقتها من الجهد والقدرة في سبيل الدفاع عن شرف الاسلام وعظمته وان كل تركي اما ان يحرز الشرف الاسلامي واما ان يهلك في آخر مجهوداته (٣) يقدم المجتمع الحاضر لاخوانهم الا تترك عوا طفهم القلبية وحنانهم الصميم بالنيابة عن جميع مسلمي الهند (مدراس)

وفي اجتماع كبير جدا من المسلمين في مدراس تحت رئاسة الحاج اسماعيل سيد تقرر ما يأتي

(١) ان مسلمي مدراس يعلنون انعطافهم الصميم الى الامة العثمانية بسبب ازمتها الحاضرة ويعلمون مقفهم وسخطهم على موقف الدول الاوربية في هذه الفترة كما انهم يشقون جد الثقة بحزم الحكومة الحاضرة ان تحتفظ بجميع المصالح الدولية المختلطة وبشرف الاسلام (٢) ان مسلمي الهند ينظرون بعين السخط الى العصاة الدولية التي تضغط بلا مسوغ شرعى على تركيا في قبول ذلك الصلح الشائن . ويزيدهم تأثرا وألما ان يجحدوا بريطانيا العظمى مستمسكة بتلك السياسة الجائرة غير مراعية احساسات ملايين المسلمين من رعاياها

(٣) — ان المجتمعين يشاركون سائر العالم المتمدن في مقت تلك الفظائع التي اوقعتها البلقانيون على غير المسلمين من الرجال وعلى الضعفاء من النساء والابرار من الاحداث الصغار في البانيا ومقدونيا وتراس ما هو سبة وعار على المدنية والانسانية وكذلك يعلمون آلامهم الشديدة وعجزهم من عجب صمت الدول المتمدنة وسكوتهم على تلك الاعمال البربرية ويحتجون على وقفة دولة بريطانيا ساكتة في هذا الموضوع .

وقد شهد هذا الاجتماع العظيم احد اعيان المحجوس المستر بارثاناراسي نايدو الذي قام فاعلن أن محجوسى الهند قاطبة يعلمون عواطفهم الخالصة لتركيا كأخوانهم المسلمين اكنو

وقد عقد في مدينة لكنو مجمع مؤيد الاسلام في الرابع والعشرين من يناير وتقرر ان يرسل تلغراف الى جلالة السلطان هذا نصه (ان تغيير الوزارة قد سرنا وانا نضرع اليكم ان تستأنف الحرب ثانية ونرجوان تتقوا بالله في ارتقاب النصر) وكذا تقرر ان يرفع الى حاكم الهند رغبة المسلمين في ان يخبر هو الحكومة

الانجليزية بما في نفوس المسلمين وصدورهم من الحق من ان الوزارة الانجليزية لاتدعو المتخاصمين الى اتفاق شريف في مصالحة الطرفين وان الجرائد الانجليزية تستعمل في جانب احد الطرفين لهجة مهينة بذية بينهما تفرى وتحرض الطرف الآخر على المطالبة بما هو جور محض وعلى التزام خطة الاصرار والتشدد في ذلك (٣) ان المجمع الاسلامي لعامة مسلمي الهند بلندن يسجل أفاقه التام على البرنامج الذي ستبنته اللجنة المركزية طبقا لنظامها الجديد . فانه بما ان الرأي العام الانجليزي قد قرر ضرورة اعطاء الشعوب المحكومة لانجلترا الحكم الذاتي ممن هم دون الهند عراقة في المدنية والتاريخ والعظمة يرى هذا المجمع ان تقوم اللجنة المركزية بمطالبة الحكومة ان تمنح الهند حكما ذاتيا يمكن اهلها من مشاركة الحكومة في تدبير شئونهم ويجعل لكلمتهم وآرائهم حرمة وقيمة في تدبير الامبراطورية ويسوى بين اهل الهند وغيرهم من اروپيين في الحقوق العامة (٤) ان ترسل صور هذا القرار الى وزير الشؤون الهندية ونظر خارجية انجلترا وان تنشر في الصحف العمومية

انجلترا

والجمعية الهندية الاسلامية بلندن

نشرت جريدة الاسبكتاتور الانجليزية في الشهر الماضي مقالة هالت فيها وكبرت وابتهجت بانتهاء حكم الاتراك في اوربا قائلة انهم قد اثبتوا في الاجيال التي حكموا فيها ولاياتهم الاوروبية انهم غير اكفاء لحكم الاثم الاوروبية فلما ظهرت هذه المقالة عقدت الجمعية الاسلامية الهندية بلندن اجتماعا قررت فيه الرد على تلك الجريدة والاحتجاج على ما اظهرت الحكومة الانجليزية لتركيا من روح العدوان ومما لا حكمة بالبلقان فكان فيما كتبوا الى جريدة الاسبكتاتور انه كان ينبغي لصاحب تلك الجريدة ان يعلم ان تركيا لم يعجزها عن اقامة النظام اللازم في ربوع البلقان الا ما كان فيها من العصابات المنتظمة التي كانت دائمة الفتك بالمسلمين ومثارة على خلق الاضطرابات والقلاقل دون انقطاع وقد كان يؤيد تلك العصابات كثيرون من اهل اوربا خصوصا الانجليز انفسهم . وكذلك انجزها عن اداء وظيفتها الاسلحية ما كان في القرن الماضي من ست حروب كبيرة استندت اموالها وصرفتها عن النظر في اصلاح داخلها واذا نحن امتحننا اسباب تلك الحروب لانجد تركيا في واحدة منها معتدية بل هي دائما معتدى عليها لما ذكرته الاسبكتاتور من عدم استعداد التركي للاصلاح فلانظن ان الانجليزية كلما تذكر ان لا يستطيع ان يعير تركيا بذلك فلقد عجز لانجليز عن اصلاح تلك الجزيرة مع عدم وجود

الموانع المذهبية والجنسية والاجتماعية والسياسية التي قامت في وجه تركيا في مقدونيا

ان الانجليز لا يكادون يدركون ما اصاب قلوب المسلمين من الآلام الشديدة بسبب التكتبات المنصبة على تركيا وبسبب الروح العدوانية الظاهرة التي لم يستطع اخفاءها كثيرون من رجال بريطانيا

نحن نعتقد ان الاخلاص للحكومة الانجليزية في هذه الحرب اخذ ينقص عن درجته الاولى ولكننا نشعر بأنه سيأتي الوقت الذي تدرك فيه نتائج ذلك وما يسوءنا ان الحكومة الانجليزية لم تلتزم في هذه الحرب ما كان يجب عليها من الحيدة المطلقة

على انه لا يزال من آمال مسلمي الهند ان تعود انجلترا فتساعد تركيا على ابتناء امبراطورية عظيمة قوية فان تركيا ستكون لها يوما ما عونا وظهيراً .

انباء العالم الاسلامي

الجمعية الاسلامية في الهند

انعقدت الجمعية الاسلامية في مدينة لكنو من بلاد الهند في آخر ديسمبر من السنة الماضية ١٩١٢ تحت رئاسة سمو الامير أغاخا وشهد هذا الاجتماع عدة من عليا الائمة الهندية مثل السيد محمد علي مدير جريدة الكوميد ورجا محمود اباد وآخرون وما قرررو في هذا الاجتماع حماية الحقوق والمصالح السياسية للاثم الاسلامية في الهند وكذلك السعى في تنميتها وكذلك بذل الجهود في نشر الصداقة والاتحاد بين مسلمي الهند وغيرهم من العناصر الاخرى وكذلك الحصول على نظام دستوري لسياسة البلاد الهندية يجعل حكم الهند في الداخل بيد الهنود على النحو المتبع في المستعمرات الانجليزية

مؤتمر التربية في الهند

كان من بين قرارات مؤتمر التربية الذي انعقد في الهند ما يأتي

(١) استرعاء نظر مدير المعارف العمومية الى عقد ابواب مخصوصة في التقارير السنوية تبين عدد المدارس والكليات والمكاتب الاسلامية ومواقعها في كل ولاية وأن تسعى ادارة المعارف في ترقية شؤونها

(٢) ان يعقد في مدينة لكنو مؤتمر للتربية الاسلامية

(٣) ارسال وفد الى المهراجا الحاكم على كشمير لاسترعى نظره الى ما عليه

حوضهم بسلاحهم وانهم يقومون الحسائر الجسيمة بالطليان اذما حدثته نفسه بان يتوغل داخل البلاد او يتجاوز مرعى الاسطول في يوم ٢٦ ذى الحجة اخرج العدو فرقة من السوارى قاصدة الغفرية بزواره ولكن قبائل النوائل والصيعان والسيقات احاطت بها احاطة السوار بالمعصم واوقعت بها من العذاب ما حملها على الفرار الذى لم يجدها نفعا فان القبائل مازالت تصليهم بنيرانها حتى اتت على آخرها ولم يستشهد من العرب الا ٣٠ من قبيلة السعيفات و ٢٠ من الصيعان ولم يخرج سوى ٦٠ نفسا

وفي يوم ١٩ محرم و ٢٠ منه وقعت موقعة عظيمة دامت ٤٦ ساعة قتل فيها مبراى ايطالى والف جندى من رجاله اما الاولى فقد قتل فيها من العدو ٢٣٠٠ وخسيرة المسلمين في الواقعتين لم تتجاوز ٢٦٠ شهيدا و ٤٠٠ جريح وفي يوم ٢١ صفر تقدم المجاهدون حتى اقتربوا من مركز زواره بمسافة كيلومتر فوجدوا غنم العساكر الطليانية فغنموا منها ٧٠٠ شاة وعند ذلك خرج اليهم ٥٠٠ من الحيلة الطليان ووقعت مصادمة بين الفريقين بمحل الزيريمات فيها ٥٠ رجلا من الطليان و غلام لابن شعبان و غنم العرب ايضا ١٨ جلا و ستاوستين ماشية

مستقبل طرابلس

في سبيل الاستقلال

جاء الى جريدة الاكبر الفرنسيه من تونس التلغراف الآتى
قد سافر الوفد الذى طرابلس ارسلته الحكومة التى اسست حديثا داخل طرابلس (الجبل الغربى) والى نظمها سليمان بك البارونى بعد الصلح مع ايطاليا وهو الذى كان سابقا نائبا عن الجبل الغربى وجمع شتات القبائل الطرابلسية خلال الحروب الايطالية .

وقد قرر الحليدون استئناف المصادمات مع ايطاليا من جديد اما غرض هذا الوفد فهو زيارة عواصم اوروبا لملها على الاعتراف باستقلال امارة الجبل الغربى .
قال مكاتب الاكبر ان ارسال البارونى لذلك الوفد لا يجب منه كل من يدركون شان طرابلس وبرقة في المستقبل فان الايطاليين لم يعملوا منذ احتلوا تلك البلاد سوى الوقوف في السواحل او التقدم الى الامام تقدما لا يكاد يذكر حتى ان داخل البلاد بأسره في قبضة العرب ادارة ونفوذا .

ويحاول الايطاليون الآن ان يشترىوا ذمم ذوى النفوذ من العرب في تلك الارزاء بالمال تيسيرا لما ربههم وتمهيدا لتحقيق اغراضهم .

مسلمو كشمير من التأخر والجهل مع انهم يكونون الجزء الاعظم من سكان تلك البلاد

(٤) تبليغ حكومة (آسام) انه يجب ان تلتزم قبول عدد مخصوص من المسلمين في سائر معاهد التربية التابعة للمديريات او للبلديات بحيث يكون للمسلمين في اى وقت الحق في الحصول عليه

كيف يعامل المسلمون

في

جنوب افريقية

ليعلم المسلمون عاقبة امرهم اذا فرطوا في حماية دولة الخلافة وقصروا في امدادها بالاموال فيحمل ان نسرد لقراء هذه المجلة بعض ما تفعله حكومة افريقية الجنوبية مع المسلمين كافة ومع غير المسيحيين من اهل اسيا قاطبة
(١) اذامات المسلم في جنوب افريقية فان الحكومة لا تورث زوجته ولا اولاده ولا احدا من اقاربه بل تأخذ جميع التركة حلالها . ذلك لانها لا تعترف بصحة المزاوجات الاسلامية ولا صحة ما يتبع ذلك من الانساب والصلات
فلاجل ان يسلم المسلمون من تلك الاحكام التى هى في الواقع محاربة دينية وجهاد صليبي للاسلام لا يموت المسلم او المسلمة هناك الا بعد ان يترك وصية مطابقة للتورث الشرعى الاسلامى .

(٢) اذا كان لاحد من الاسيويين المقيمين في الترنسفال قريب ما في بلد آخر ولوزوجة فانه لا يجوز ادخاله هناك

اما الانشاء فانه لا يجوز ادخالهم الا اذا كانوا دون سن الثالثة عشرة فهذه النظمات والقوانين يفرقون بين المرء وزوجه ويحولون بين الرجل ورحله
(٣) يمنع العثماني من الدخول في جنوب افريقية الا اذا كان مسيحيا وكذلك حكم جميع الاسيويين

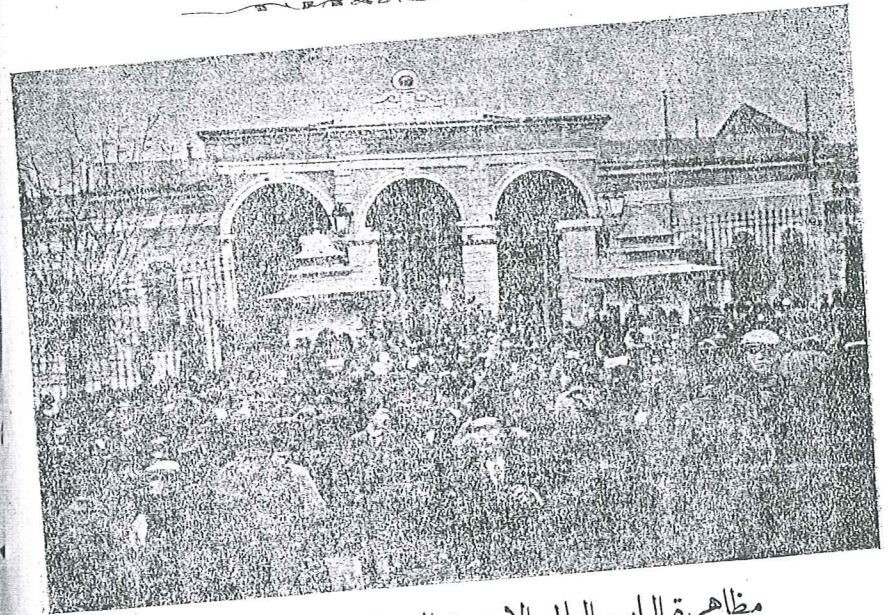
في كلتا

يوجد في كلكتا بستان شق منه لايسير فيه غير الهنود والآ خر لايسير فيه غير الاوريين فهل هذا من المدنية التى تدعيها اوربا والمساواة التى تتشدد بها

احوال طرابلس

تفيد جميع الاخبار الآتية من طرابلس ان العرب لا يزالون يذودون عن

يستأنف الفرنسيون في موجدور حملة عسكرية لا اعتبارهم ان اهل تلك الجهات
ثأرون. وتأنف هذه الحملة من ست بطاريات راجلة وفصيلتين من الفرسان مزودة بكثير
من الذخائر الحربية والمتواليوز. ومن عرف كيف تتغلب فرنسا على تلك البلاد الآن وكيف
تتمكن من قلبها واطرافها ليقن انها لو لا انشقاق اهل تلك البلاد وانقسامهم على انفسهم ولولا
بيع طائفة من رؤساء تلك القبائل ذممهم وشرفهم لفرنسا بالدرهم والدينار ما تمكنت الجمهورية
الفرنسية من اعتبارها المدافعين عن انفسهم واستقلالهم عصاة خارجين ولا اعلمت مدافعها
وسيو فها في اجساد اولئك المساكين تمزقها البار باروا وتحصد ارواحها حصدا (وما اصابكم من
مصيبة فيما كسبت ايديكم)
كان اهل الغرب قبل الاحتلال الفرنسي يقتلون انفسهم بايديهم اما اليوم فقد
اصبحوا فوق ذلك عوناً لاعدائهم على انفسهم يمكنونهم من ملكهم ويتقربون
اليهم بارواح اخوانهم والامر لله ومن قبل من بعد.



مظاهرة الباب العالي الاخيرة التي قلبت الوزارة السابقة

بعد الانقلاب

يا موطننا ما ركبناها مطهمة
ولا جربنا بها فلما مصفحة
ولا هبطنا جبال التاج في لجب
رعيا لا نور يطوى اليد في شغل
يا موطننا ما ركبناها مطهمة
ولا جربنا بها فلما مصفحة
ولا هبطنا جبال التاج في لجب
رعيا لا نور يطوى اليد في شغل

قد جاء والحيش في خزي وفي فرق
الفاء لا عزم لا توحيد لاجلدا
الفاء تزججه ذكرى مقاتله
قد استخف بثقل العار كاهله
كأنما لم يكن عثمان ناسله
ولم يكن شهد الغارات معتصما
قد اسلم المجد للاعداء ممتنها
سبحان ربى لولا ما اتى صفر
ولا رجا مسلم تفرج ضائقة
جيش المقاديم والاساد رابضة
ذاك الدفين بقرقاليس مجدكم
وكم صريع كسام قدونيا حللا
فشمروا السوق فالاسلام مرتقب
كأنما الحرب امر فوق طاقته
لاهم الا اذكارا في سلامته
فما له مستقر من مهابة
فاستمرأ الصلح شينا من سفاهته
ولم يردت عدوا عن غوايته
بالبض والسمر درءا عن مكانته
جهلا به وغلوا في زرايته
ما كان للحيش صحر من منامته
ولا رجا لملك اعلاء لرايته
ومن رأى الدين حصنا من امانته
رداه رهط الدنيا في غيابه
من النجيع ينادىكم لثارته
ما تفعلون دفاعا عن كرامته

الشرق الاقصى

مستقبل منغوليا

لقد كانت الصين منذ سنين مضت مجالا فسيحا لاحلام الامة الأوروبية
الاستعمارية ولطالما هموا بتحقيق امانهم ولكنهم كانوا لا يرون التسجيل بتحقيقها
فئة منهم بأن الصين لا استعداد لديها للنهوض ولا خوف من ان تستيقظ استيقاظا
تفلت به من ايديهم ولكن جاءت الحرب اليابانية الروسية فاخافت تلك الظنون
فأنه لم تكذب الحرب اوزارها حتى رأينا ذلك الجسم الهامد الحامد قد تحرك
وانتفش ولم يكتف بأن يجارى الممالك الدستورية المتوجة بالملك والاسلاطين
بل انقلب جمهورية لا ترى سلطانا لاحد الا الذى يتناول السلطان والنفوذ من
ايدي الامة والشعب

فالصين التي كانت بالأمس تعبد ملوكها وتخضع لهم سجدا الى اذقانها هي اليوم
جمهورية لا ترى غير المساواة التامة في سائر الحقوق العامة ولكن أوروبا التي
طلما اعزجتها صورة الخطر الاصفر ارادت الا تهملها حتى تبلغ اشدّها بل قصدت
ان تصيبها في مقاتلتها قبل ان يقوى ساعدها ويستعصى بعد ذلك امرها فحفظ الصين الفتاة من
أوروبا المسيحية هو بعينه حظ تركيا الفتاة بعد انقلابها الدستوري

ان اهل البلاطات الاوروبية لا يدركون ما هو مستقبلها في المستقبل

تلك هي الطعنة الأولى التي صوبتها أوروبا الى فؤاد الصين . اما الطعنة الثانية فهي ضمن تلك الدول بالمال على الصين في الوقت الذي تريد هذه فيه ان تنظم شؤونها الداخلية وان تمحو كل ما يتوقع حدوثه من ضروب القلاقل والاضطراب . اضطرت الصين الى اقتراض المال من دول أوروبا لاصلاح شؤونها فانهزت هذه الدول تلك الفرصة الثمينة واخذن يضعن من الشروط ما لو تبعنها حكومة الصين لقصت بذلك على وجودها ولقد زعمت تلك الدول آخر الامر انهن ما قصدن سوى الاستيثاق من ان تلك الاموال لا تصرف الا في اصلاح الشؤون الداخلية اذ يرين الخطر في اهتمام الصين بأمر شؤونها العسكرية هنالك . قبلت الصين ان تتألف في عاصمتها لجنة مراقبة يكون اعضاؤها ثلاثة المائى وايطالى ودانماركى ولكن روسيا ادعت ان هذه المراقبة لا تكفى بل يجب ان تتألف لجنة المراقبة من اربع يمثلون اشد الدول اهتماما بمسائل الشرقية وبديهي ان روسيا ما قصدت سوى حرمان الصين من ان يكون لها وسيلة من وسائل الرقي والنجاح لاسيما بعد ما كان من الاتفاق بينها وبين منغوليا مما سيجعلها تظهر لها اذا قامت الحرب بينها وبين الصين .

ويقول مكاتب جريدة فرانكفورت زيتونج في برلين انه لا يكاد يحتمل وجود اتفاق تحل به مسألة هذا القرض .

وكتب رئيس الجمهورية الصينية يانشى كاي الى الكونتوختو انه يرفض المناقشة في امر انفصال منغوليا عن الجمهورية ويذكره بان الافراد الساعين في اضرار الجمهورية الصينية واذا ثأها قد عوقبوا طبقا للقانون كما ذكره بانه هو وجيوشه قد ارتكبوا مالا يحتمل من الفظائع والاعمال البربرية واكد له ان الجمهورية الصينية لا تصير على ان يتعرض احد لرعاياها باذى دون ان تنتقم له .

ومن المحقق ان جميع المنغوليين الذين كانوا خرجوا على حكومة الصين اصبحوا الآن يتنون الارتباط بالجمهورية ماعدا القاطنين بالقرب من أودقا ويرغبون في مقاومة الكونتوختو .

ولقد طلب كثير من اهل الصين الذهاب لمحاربته ولكن رغبة يانشى كاي رئيس الجمهورية في السلام وحقق الدماء حملته على اقناع هؤلاء بضرورة الانتظار عسى ان يصل الى حل سلمى لا تأبى معه جمهورية الصين ان تعامل البوذية والبوذيين بالرفق وقد نقلت جريدة الكومريد عن الديلي تفراف ان سفير منغوليا زار رئيس اركان حرب روسيا المسيو جيلينسكى وطلب منه ان يزيدهم من المساعدات الحربية في الربيع المقبل . ويختصر طلب ذلك السفير في ان تمد روسيا

الصينية هي اغراضها منغوليا بالانفصال عن جسم الامبراطورية الصينية العظمى فقد تم الاتفاق في شهر نوفمبر من السنة الماضية بين روسيا ومنغوليا على ان تكون منغوليا مستقلة تماما عن الصين وان يكون لها الحق في ان تعامل الصين كما تعامل سائر الدول الاجنبية عنها من كل وجه بذلك قامت في اسيا مملكة كبيرة مستقلة ستكون آلة في يد بعض الدول المسيحية تستخدمها متى شاءت . لاجرم ان روسيا التي هي اشد الدول ازعاجا من الخطر الاصفر ستمد منغوليا بالمال الكثير حتى تطوق عنقها بديونها ثم تمدّها بضابطها قصدا الى تدريب جيوشها وتنظيم شؤونها الحربية ثم لا تلبث ان تدفعها الى محاربة الصين وتقف هي وقفة الناظر المتفرج المرتقب وهن عزائمهما واضمحلال قواها ثم يتبلغ من منغوليا اوان لقمة سائغة هنيئة ثم لا يلزم الا الله ماذا يصيب به وذلك الجمهورية الصينية هكذا فعلت الروسية تمهيدا لطريقها التي ستنهى اولا بسلامة سيبيريا من الغارات الصينية وثانيا بالتلاع ذلك القسم العظيم الذي انفصل عن الجسم الصينى وان ادعت الصحف الروسية والصحف الانجليزية اليوم ان روسيا لم تؤيد منغوليا في استقلالها الا رغبة منها في ان تكون وهي مستقلة سورا منيعا بينها وبين الصين وبذلك يؤمن اصطدامهما في المستقبل .

وقول التمس ان صك الاتفاق يمنح روسيا من المزايا اكثر مما غيرها من دول أوروبا وبالرغم من دعوى صحف روسيا ان الاتفاق قاصر على بعض اجزاء منغوليا نجد ان الاوراق الرسمية ليس فيها سوى ذكر منغوليا دون تحديد ولا تخصيص .

تنقسم منغوليا الى منغوليا الداخلية ومنغوليا الخارجية وترى التمس ان منغوليا الداخلية تشمل على اقل تقدير الامراض الواقعة شرق صحراء جوبي وجنوبها فبذلك تنهى حدود منغوليا على مقربة من بكين وهارين وسكة الحديد الصينية الشرقية وما يهم إنجلترا في هذه المسألة انه يراد عقد معاهدة بين حكومة التبت وبين منغوليا في سان بطرسبورج فان معاهدة لحسا تقتضى انه ليس للتبت ان تخاير اى دولة اجنبية الا بعد استئذان دولة بريطانيا .

وكانا بحكومة إنجلترا تريدان تخترع لها معذرة تبلغ من ورائها تحقيق امنيتها القديمة في بلاد التبت فقد نجد التمس الصادر في ١٠ فبراير سنة ١٩١٣ يقول انه لا بد لنا من سلوك سبيل واضحة مع الصين وروسيا ولا سبيل الى ذلك فيما ترى التمس سوى ان يمثل بريطانيا في لحسا عاصمة التبت وكيل سياسى قدير وان تزداد فقرة جديدة في المعاهدة الانجليزية الروسية تحفظ العلاقات الودية بين الحكومتين

منقوليا بعشرة من الضباط الروس فضلا عن الاثنين المقيمين الآن في أورقا وان يكون مع هؤلاء عدة من الضباط الصغار لتدريب المنقولين .
ونحن نقول ان هذا كل ما تريده اوروبا فانها رغبة في سلامة املاتها وحرصا على منافعتها الاستعمارية لابدان تشعل نيران الفتن هناك حتى تقوض اركان تلك الجمهورية الفتية

البعثة الأزهرية

بعد عامين

قدمنا في العدد الماضي للقراء كلمة مجملة في بيان الحالة المالية وخلاصتها اننا بدأنا في جمع الاعانات للبعثة الأزهرية في ديسمبر سنة ١٩٠٩ ونشر ذلك في العدد ٣١٤٨ من جريدة اللواء واستمر الاكتتاب حتى ١٥ أكتوبر سنة ٩١١ فبلغ مجموع ما اكتتب به ٢٥٧ مليا ٥٧١ جنبها اما كيفية صرف هذه المقادير فهو مفصل في دفتر مخصوص لحساب البعثة الأزهرية نجتزئ منه بما يأتي

مليم	جنبه	
٥٠٠	٩٧	محمد افندى احمد الطالب بجلاسكو
١٧٦	٦٣	الشيخ محمد رزق لغايه يوليو سنة ٩١٢
٤٦١	٧١	الشيخ محمد مصطفى التونسي لغاية فبراير سنة ٩١٣
٠٥٦	٨٣	الشيخ على الشهداوى » » »
٩٢٥	٧٩	مصرفات انفقت في الاحتفال بالبعثة في الاسكندرية وسفرها
		هي ورئيسها من القاهرة الى موبيليه واثمان بعض مرافق اشترت للبعثة في موبيليه
		وتفقات الرئيس في عودته
٢٦٨	٧٥	انفق في مصر في شراء ملابس وحقائب وجميع ما لزم اعضاء
		البعثة من حاجات السفر

٤٦٧ ٤٧٠

واذا طرحنا مقدار ٧٥٠ مليا ٩ جنبها وهو الذي دفعته والدة محمد افندى احمد لنا يكون جميع ما نفقناه منذ ابتداء البعثة الى الآن هو ٤٦٠ جنبها ٧١٧ مليا ولا يخفى ان هذا المقدار لم يشتمل على جميع ما نفق في سبيل تعليم المشايخ في موبيليه وانما هي مقصورة على ما ارسل اليهم في سبيل نفقاتهم العادية كنفقات الاجازات المعتادة وشراء الملابس والمرافق الضرورية ومعلوم ان المقدار الباقي هذا ليس من

المعاشية فضلا عن تمكينهم من اتمام دراستهم ولتطلع الامة المصرية على مبلغ الزمواج طلبة البعثة كما تذكروا قرب نفاذ المقادير التي جادت عليهم بها هذه الامة ولما تصوروا ان طريق التحصيل ستنقطع عليهم وابواب الاستفادة ستسد في اوجهم يجب ان ننشرها نبذا مما جاء في كتاب للشيخ الشهداوى مؤرخ بالسابع والعشرين من شهر فبراير المنصرم وكذا من مكتوب لمحمد افندى احمد بجلاسكو بتاريخ ٢٤ فبراير الفارط ايضا
اما الاستاذ الشهداوى فقال

عندما قرأت الهداية كان لقراءتها وقع اثر في نفوس كثير من اصدقائنا ومحبي الاستاذ واخص من بينهم.... فانهم يعرفون الاستاذ ويمتجون به وطالما حادثوه ويحبوننا لجه فعدونا لمقابلتهم وانكلام في امداد البعثة حتى يثر غرسكم وتكمل اعمالكم بالنجاح وبعد كلام طويل بيننا وبينهم تم الاطمان نعرض عليكم الفكرة الاتية وهي
(١) تكليف الاستاذ بكتابة مقالة تنشر في احدى الجرائد المصرية تدعو الناس الى الاكتتاب

(٢) طبع تذاكر تشابه تذاكر العيد (قيمتها مختلفة) ومضادة باسم الاستاذ وارسالها اليها اقرب ما يمكن لتوزيع منها على طلبة اوروبا ونرسل منها الى مصر (اني ان قال) ارجو الاستاذ ان يتفضل بارسال ما عزم عليه حتى يطمئن خاطرنا وقرر اعيننا وان كنا على يقين من اننا سنتمم دراستنا وانما نود ان يكون الاستاذ متوليا امر اولاده مستعينا بمن لديهم غيرة على اتمام مشروعه العظيم. واما محمد افندى احمد فقد جاء في كتابه المذكور انفا ما يأتي

وحيث انكم تكرمتم بارسال خطاب تستفهمون عن احوالى فاعلمكم اننى الآن في السنة النهائية لعلم الهندسة بجامعة جلاسكو ولكن ياسيدى لم ازل في ضنك شديد حتى لو قتنا هذا لم ادفع مصاريف الجامعة لهذه السنة التي ابتدأت من أكتوبر الماضي حيث اخبرت مدير الجامعة بحالى وطلبت منه الانتظار حتى اجلب له هذا المبلغ واما انا فساءتم ان شاء الله دراستى في شهر سبتمبر سنة ٩١٣ هذا اذا وجدت مساعدة تعيننى ولا يخفى على فضيلتكم ان المدة الباقية قصيرة فارجو منكم بحق الله ان تساعدنى اذا امكنتكم حتى اتمم دراستى واما بخصوص المبلغ الذى وصلتني من فضيلتكم فهو مئة جنبه افرنكى وهو مجموع النقود التي وصلتني منكم مع مزيد الشكر كيف لا واتم انقذتموني من ضنك شديد . فنعم انت ولعم خدمايك وحبك في تعليم ابنائك وطنك وفقك الله الى مساعدتي في القريب

العاجل والسلام عليكم ورحمة الله

من هذين الكتابين ترى الامة المصرية التي تعهدت أولئك الطلبة بالاتفاق ومكنتهم خلال الزمن السابق من الاشتغال بالعلم والافتقار للتعليم انهم الآن اشد حاجة الى عنايتها ومددها فأن من اشق الاشياء على نفس الطالب ان تقطع عليه سبيل التحصيل بعد ان ذاق حلاوة العلم وانتعشت نفسه بلذة التحصيل وها نأذا قد بسطت الى الامة المصرية الكريمة حالة هذه البعثة راجيا ان تستأنف نهضتها العظيمة الى جمع اليسير من المال حتى تمكن ابناءها من طلبه العلم من بلوغ منتهى غاياتهم ومبلغ آمالهم وهو اتمامهم ماوقفوا انفسهم عليه من تحصيل العلوم والله ولى التوفيق
رئيس البعثة الازهرية
عبد العزيز جاويز

جماعة ترقى الاسلام

تأسست بمدينة جنيف عاصمة سويسرا جماعة سميت بجمعية ترقى الاسلام وقد وضعت نشرة لدعوة المسلمين الى الاشتراك فيها سنأتى عليها بعد . وكذلك وضعت لها نشرة دورية ارسلت الينا العدد الاول منها باللغة الفرنسية مؤرخة بشهر فبراير سنة ١٩١٣ وسنأتى بعد على نبذ منها مكتفين الآن بنشر دعوتهم الى الاشتراك فيما يلي

يا معشر المسلمين احيوا داعي الله

هل أناكم اليوم حديث الاسلام والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها ؟ اولئك القوم الذين بدأ اسلافهم واجدادهم في حصن المنعة والقوة ودانت لهم الارض وذلك لهم صعب الامور وركبوا افراس المجد في ميدان الحياة وكانت لهم الكلمة العليا لما بذلوه من تضحية النفس والنفيس في سبيل تضامنهم واتحادهم . فاذا تألم مسلم في ادنى الارض كانت تحفو جنوب اخوانه المضاجع في اقصاها حتى يخفف الله ويبرأ منه

أما اليوم فقد انعكست الآية واصبح المسلمون اذلة بعد ان كانوا اعزة وذلك بما ارتكبوه من التقاعس عن العمل والتباغض والتحاقد والعدول عن منهج دينهم القويم حتى اصبحوا اسرى الجهل وصار كل منهم له شأن يغنيه عن نصرة اخيه فانقضت عليهم الاعداء واستعبدتهم دولة بعد دولة وامة بعد امة وكل منها لاهية لاهية لا تمتر بما يصيب اختها فطفقوا يشربون كأس الهوان راضين . واجب منه كأس الحمام لو كانوا يعقلون

وقد وصلت يد الاعداء والمغيرين الى آخر حصن الاسلام وملجأ للمسلمين يريدون ان يحسوا معالم الاسلام ويهدموا بنيانه ويفرقوا كلمته ويشتتوا وحدته فارتكبوا انواع الفظائع للوصول الى ذلك الحصن من عبث بعفاف الابكار وهتك حرمت المسلمين الطاهرات . وتخريب المنازل وسجن المسلمين ممالو سكتنا عن دفعه لاصبح كل منا مثلوما شرفه وعرضه ومن رضى بالذل لآخيه فقد ارتضى العار لنفسه قال تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم اليينات اولئك لهم عذاب عظيم

لقد اصبحت معونة دولة الخلافة آخر معقل للاسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى يتخذ ذلك الدين الذي اصبحت المدافعون عنه في اشد الحاجة الى معونة اخوانهم المسلمين

لقد آن ان تجتمع كلمتهم ويتحد شملهم على رفع كلمة الله وانقاذها من يد الباطل والسوء الذي حاق به وان يعتبر المسلمون بما قاله عليه السلام مما معناه عليكم بالجماعة فان الذب لاياء كل من الغنى والقاصية. وان يسلكوا طريق العزة التي ذكرها الله في كتابه العزيز حيث قال (ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم. والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات. والذين لا يبالون في سبيل الحق بملامة ولا يرجون سوى الله وليا ولا نصيراً والذين امرهم شورى بينهم اولئك الذين لا يطعمون مخلوقاً في معصية الخالق. أولئك هم المؤمنون الذين يرثون الارض وتكون لهم الكلمة النافذة ولا يسلمهم الله الى جبار في الارض

وقد طلبت الدولة العلية سلفة داخلية اعانة للحرب الحاضرة برج خمسة في المائة لمن اراد تدفع على مدة ثلاث سنوات بعد انتهاء الحرب فمن اراد أن يقرض الله قرضاً حسناً فليخبر جمعية ترقى الاسلام بمدينة جنيف وهي التي انشئت للسعى في ترقى حالة الاسلام والمسلمين من الوجهة العلمية والاقتصادية

ها أنتم تدعون لثبوتكم في سبيل الله فأنكم من يخل ومن يخل فانما يخل عن نفسه والله الغنى وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم. والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه وانه لا يضيع اجر العاملين المحسنين

الصابرين والسلام على من عمل بما يعلم وهدى الى ما يعرف من طريق الحق والصواب .

الاتحاد الاسلامي

هذا عنوان فصل من الكتاب الذي نشره ذلك الكاتب العظيم جلال نوري بك المسمى بالمقدرات التاريخية ووجدنا القراء بنشره وهو كما يلي
لقد كان نصبي ان اكون من المشتغلين في مسائل اتحاد المسلمين عامة في الهند والسند وشمال افريقيا والشرق واسيا الوسطى وتوجيه آمالهم الى غاية واحدة وتوحيد شعورهم واحساسهم .

وجدير بالباحث في المسائل التاريخية والاطوار التي مرت على المسلمين عموما والعثمانيين خصوصا ان يبحث في كيفية لم شعث المسلمين وجمع شملهم ولذلك سأضع بحثا مخصوصا لهذه الغاية العظيمة . ان الافكار الآتية والمباحث التي ستمر بالفكر ليس من نبات افكارى بل هي نتيجة من آراء الباحثين في المسائل الاسلامية .
كيف يعرف الاتحاد الاسلامي ؟ وما الغاية منه وما المقصود منه ؟ وهل هو قابل التحقيق اوكل ذلك من المباحث الخيالية والاهوام التي لاحاثق لها . هل الاتحاد الاسلامي يحدث تغيرا في حالة المسلمين الاجتماعية ويوجد قوة جديدة وهل هو نتيجة طبيعية من نتائج التعصب او وسيلة الكمال والترقى .

صادفت كثيرا من مواطني المخلصين يرون ان الاتحاد الاسلامي نتيجة من نتائج التعصب الذي يجب ان يخل افسنا عنه وهذه الفكرة قدسرت اليهم من اوربا صاحبة الاميال والاغراض .
يجب على الباحث في مسائل الاتحاد الاسلامي ان يكون خالي الفرض من التخصصات التي تزداع ونشر ويجب عليه ان يكون فوق الباحثين لا ان يكون تابعا في افكاره لواحد منهم .
اني عاشق لحرية الافكار القديمة ومفرطا في محبة الفلاسفة المصرية ولكني اقول ان بلوغ البشر درجة الكمال ليس يتم بافكار لوتر ولا بنظريات داروين ولا بانقلاب (٨٩) بل ان اساس الانقلاب الفرنسي ليس الاحقية خيالية امام الاتحاد الاسلامي
ان الاتحاد الاسلامي اساس الدينية الحقيقية وهو اخو الفطرة
ان مدينة اوربا المسيحية مستندة على « الحكم لمن غلب » وهذه القاعدة تمحو بين نشر المدينة الحقيقية وبين البشر
اما المدينة التي يطالبها الاتحاد الاسلامي فهي فوق ذلك اذ هي تحافظ على حقوق الضعيف

امام القوى
انظر الى معاملة العثمانيين والانديسيين للمسيحيين فانك تراهم قدسا واهم بالمسلمين بل تراهم قد منحوهم من الحقوق والامتيازات ما لم يكن للمسلمين .
لنفرض ان الاساس المتين الذي وضعه السلطان عثمان لهذه الدولة قد انتقض وانحوى وانقلابت العثمانية اماردة محمية بانكلترا وروسيا فاذاعسى ان يكون شأنها مع اننا نرى في الوقت الحاضر ايران تتأهب لتوديع حياتها الاستقلالية ونرى سلطان فارس قد قبل حيازة دولة فرنسا وبلاد الافغان يمزحل عن العالم المتمدن ، فكيف اذن يكون الاسلام بمأمن ان يكون حظها في المستقبل تلك العاقبة الوخيمة ،

ان حكام اوربا لا ينظرون الى رعاياهم من المسلمين الا كمخلوق دون منزلة الانسان
« البدالامة » اذهم لا يفكرون في غير استخدامهم والاستفادة من ورائهم ولا يشعرون

يقتصون دماءهم ويسفرونهم في مصالحهم سواهم عليهم اهلكوا ام عاشوا . اهم لا يبالون باضاعة حقوقنا وتفصيل افكارنا واستعباد احرارنا ،
ان انكلترا وفرنسا قدوتى الامم في المدنية والحضارة تراهما يسفرون منا كما جاهرنا بطلب حقوقنا الطبيعية والمدنية او همنا بالذبح عن حياضنا .
ان الانكليز والفرنسيين يطلبون ان تبقى اخلاقنا بسيطة ساذجة وطباعنا سلمية خاشعة وعضائنا هينا لينا حتى يمكنهم الاستفادة منا كما يشاءون ويشتهون .

« ثم قال »

لنبحث الآن عن احوالنا الحاضرة ولنعتبر قليلا بما يشاهده المؤرخ كلما التي ينظره الى المجلدات التاريخية هناك نرى ان الدين ظلموا وارتكبوا الجنايات العظيمة لم يتركوا لهم في التاريخ غير كلمة « حار »

ان النصور كنهر سريع الجريان يتدفق ثم يذهب والدهور كالسيل المتعاقب ، ولكن فكرة الحرية وحرية الفكر لهما على الدوام الغلبة والسيادة فاسارى الاسلام اليوم وانتساباتهم الحاضرة للحكومات المختلفة والاحتقار الذي هوكل حظهم من الاجاب ليست في الحقيقة بعار مادام قد اوجد بين المسلمين تلك العواطف المشتركة والرحم المتينة اذ اجبرهم على الاتحاد والتضامن اكثر مما فعلوا ايام خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ان المسلمين انما يحتاجون الى وجل كبير يوجد بين الهند والسند وتوركا والمغرب وايران غيرة عظيمة وعاطفة وثيقة لا تقدر على مطارتها . مصارف اوربا مهما انفتحت ولا مدافع كروب ومدركات ارمسترونغ مهما درت

وفي الحقيقة فالتى « الذى يدير الاطوار التاريخية انما هو العواطف كما قال الدكتور كوستاف لويون فالذكاء والعقل والقوة البدنية لا يستطيعان التغلب عليها فاذا انحدرت هذه العواطف فانها تكون جذيرة بايجاد اعظم انقلاب وقع على الارض وكيف يمكن اعظم قوة التغلب على عواطف واحدة مشتركة بين ثلاثمائة وخمسين مليوناً متى كانت متولدة ومنبعثة من قوة منتظمة للاتحاد الاسلامي بالغة اشدها .

وان قد خطب اسد بطارقة الروم « يواكيم » فقال . ايها السادة . انى راهب فقير لا املاك شيئاً سوى الاعنام التي اربها وانى تابع للحكومة استبدادية ودينها مبين لدى وجنسها في حزب عوان مع جنسى وانى اؤمل ان تشجعوا اخوانكم النصارى حتى يكون لهم امل في الخروج من هذه المصايب التي يتشون تحتها وانى وان لم يكن لى شئ من السلطة المادية فلى من السلطان المعنوى على النفوس ما يجمل لى املاً عظيماً في تحقيق امنيتي .

واننا لو نظرنا الى معاملة المسلمين للمسيحيين والى تعامل الدين الاسلامي وحدنا ان ما يتفوه به ذلك الطريق ناشئ عن التعصب الدينى الذى امتلأ قلبه به . لو قام السلطان محمد الخامس وبين الفطائع ولوحشية التي يلاقها المسلمون الذين تحت سيطرة الدول المسيحية كان كلامه حقاً وقوله صدقا ، ما المقصد من الاتحاد الاسلامي ؟ هل الغرض من ذلك جمع جميع المسلمين تحت راية واحدة حتى تحدث قوة تضعف امامها جميع القوى ؟ ليست الغرض من الاتحاد الاسلامي توسيع نفوذ الدولة العثمانية بل الغرض توحيد الشعوب والتربية حتى يعلم المسلمون ان غايتهم واحدة وان هذه الغاية التي تريد ان تصل اليها ليس بمستحيلة كما يزعم كثير من الباحثين استنتاجاً مما عليه المسلمون من اللغة والدهول عما يكاد لهم قاننا وان كنا لاندمى ان حالة المسلمين ترضى ولكنها لا توجب اليأس فان هذا النور لا بد له من نقطة وان الناظر في احوال المسلمين الاجتماعية يرى اهم آخذون في سبيل الرقى الاخلاق والسياسى ولا جرم ان هذا نتيجة من نتائج الضغط والمصايب التي تواتت على المسلمين من استبداد الحكام .

ان الاسلام دين اجتماعى كما انه دين مساواة بين الاجناس المختلفة والملل المتباينة فهو لا يميز جنساً عن جنس ولا يعطى اهله من الحقوق ما يحرمه على غيرهم . لذلك كان من اصوله (ان لا عصية في الاسلام) لما اراد العرب ان يميزوا عن غيرهم واراد كل فرد ان ينسب الى قبيلته بحيث يكون منفصلاً عن اخيه ابن القبيلة الاخرى وان هذه القاعدة التى وضعها الاسلام هي ما يمسى اليها الاشتراكون ويعدون الوصول اليها اكبر منحة يجود بها الله على عباده ان فكرة الاتحاد الاسلامى اذا تمكنت من قلوب المسلمين احدثت انقلاباً اخلاقياً اجتماعياً كالانقلاب الذى احدثه انتشار افكار جان جاك روسو سنة ١٧٨٦

اخبار الحرب

في هذا الشهر لم تحصل مضاد ممتدة بيننا وبين العدو لان تراكم الثلوج وكثرة الامطار وشدة البرد قد حالت بين جيشنا وبين تنفيذ خططه والجيش وافر العدد والعدد ولا يتظر الا تحسن الجو ليقع بالعدو التنكيل والخسائر وان كل ماشاع في هذا الشهر من التخرصات التى لا اصل لها ولقد جاء مدير الشركة العثمانية الى الباب العالي يسأله عن حقيقة ما ذاعته الشركات الاجنبية من تصميم الدولة على الصلح وغير ذلك فقال له الصدران ما ذاعته الجرائد الاجنبية وشركات التلغرافات من قرب عهد الصلح افك وبهتان ونحن الى الآن لم نتذكر مع الدول المتحاربة ويظهر ان سبب هذه الاشاعات استمرار المذاكرة مع الدول العظمى ونتيجة المذاكرة لم تعلم بعد ثم سألته المكاتب عن نتيجة قرار الدول هل ستكون الحكومة مجبرة على اتباعه ؟ فقال الصدر الاعظم ان الدول لم تتدخل في الامر بل تلطفت في اجراء التوسط ثم سألته المكاتب عن التضمنات الحربية التى قررها البلغاريون فقال الصدر الاعظم ان الدولة العثمانية لا تتحمل شيئاً في هذا السبيل وان الاسباب التى ذكرها البلغار وزعموا انها هى التى حملتهم على تقرير الضمانات هى بنفسها الاسباب التى تدعو الحكومة الى عدم تحملها

انهم يقولون ان البلاد التى فتحوها لم يجدوا بها احداً وكل اهلها قد هاجروا الى البلاد العثمانية وهذا مما يحملهم مصروفات كثيرة كانهم ظنوا ان تركيا استفادت من المهاجرين وهذه الدعوى تكون صحيحة اذا لم يكن المهاجرون بعض عائلات قتل من يعولها . وهل دعا هؤلاء المهاجرين الى الهجرة الا فظائسهم التى ارتكبوها ووحشتهم التى استعملوها . ان البلغاريين يقولون ان الحرب ستجبرهم على اعطاء معاشات كثيرة للعائلات وهذا السبب بنفسه ما يدعونا الى عدم تحمل شئ من الغرامة فان بلغاريا لم تتحمل خسائر اكثر من تركيا

هذا ما صرح به الصدر الاعظم وهو بلا شك مما يسر العالم الاسلامى وانه ندعو الله سبحانه وتعالى ان يكتب لجيشنا النصر والتوفيق

رد الآيات المتشابهات الى الآيات

(المحكمات)

للفقيه الورع محمد بن احمد بن اللبان المصرى
المتوفى سنة ٧٤٩ من الهجرة

استخرجه من مكاتب الاستانة الشيخ
حافظ وهبه

بسم الله الرحمن الرحيم

لست في حاجة الى بيان معنى المحكم والمتشابه فان العلماء قد خاضوا عباب هذا الموضوع وان كان اكثر الباحثين لم يوضحوا سبله ويدينوا مشكله ولقد رأى فريق ان ليس في القرآن متشابه بالمعنى الذى به يفسرون فان الله لم ينزل كتابه على الناس الا ليوضح لهم طرق الهدى لا ان يفرق الناس شيئا كل يفهم من الشرع كما يشتهى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

ومن رأى هؤلاء الباحثين ان يرجعوا آيات القرآن بعضها الى بعض حتى لا تتنافر وتتأثر بل الآيات والا حادith تفسر بعضها بعضا ويبين واضحا مجملها ولقد نحاهذا النحو مؤلف (كتابنا رد الآيات المتشابهات الى الآيات المحكمات) الفقيه الورع محمد بن احمد بن الملبان المتوفى سنة ٧٤٩ هـ فجاء كتابه جيدا في بابه ولقد كنت أردت أول الامر ان اخرج ما ورد فيه من الاحاديث فاين درجتها من الصحة والحسن الا أنى رأيت رسائل كثيرة قامت بتخريج الاحاديث التي جاءت في كتابنا وغيره مثل احياء العلوم للغزالي والكشاف فرأيت ان اعمم الفائدة بنشر هذه الرسائل متى رأيت عضداً من المسلمين عامة والعرب خاصة .

ولقد تصرفت في بعض عبارات لكتاب التي لم أقف على أصلها وكان بعضها ممزقا من تصرفات الايام وجعلت علامة عند العبارات التي زدت فيها كلمة أو تصرفت فيها حتى لا تلتبس باصل الكتاب والله ادعوا ان يوفقنى على مثابة هذا العمل الجليل وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

(ناشر الكتاب حافظ وهبه)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته المنزه في احديته عن مشابهة مخلوقاته وصلواته على سيدنا محمد عبده رسوله الموضح بسنته متشابه آياته . الباقي مدده لاوليائه بعد مماته كما كان لهم في حياته وعلى آله وصحبه الذين ازالوا الظلمات ونصروا الدين ببيانه . فأنت سألتنى ارشدنى الله واياك عن امر عظيم في هذا الزمان خطبه وعم ضرره وهو ما تظاهى به بعض المبتدعة الذين انتسبوا زورا وبهتان الى الحديث والنقح من اعتقاد ظاهر الآيات المتشابهة في اسمائه تعالى وصفاته من غير تعرض لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه ويزعم انه في ذلك متمسك بالكتاب والسنة سائر على طريق السلف الصالح ويشنع على من تعرض الى شيء منها بصرفها عن ظاهرها الى ما تعارف في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وحيث سألتنى عن ذلك ورغبت في املاء شيء فلا بد من الاجابة على سبيل النصيحة لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم . فاعلم امدنى الله واياك بمدد توفيقه ان من اجل منح الله على عبده طهارة قلبه وسلامه فطرته وامله منطق فأنه بذلك يلحق الحكمة ويسمع هوائق الحق في كل نفس من انفاسه ويضئ له في ليل المتشابه مصباح المحكم فيرسخ قدم صدقه في معرفة ربه ويحيا ببلده الطيب بغيث الهدى والعلم فيخرج نباته بأذن ربه كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى اكلها كل حين بأذن ربها ويسلك بافكاره سبيل الاستقامة فينتفع وينتفع به المسلمون ولقد كان للصحابه رضوان الله عليهم من هذا المنرب اصفاء واعذبه ومن العلم بالكتاب والسنة اذكاد واطيبه وكيف لا يكونون كذلك وقد تليت عليهم آيات الله وفيهم رسوله ولهم من الاعتصام بالله ماضمت لهم به الهداية والاستقامة ومن يعصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يعلمون الناسخ والمنسوخ بالمعاصرة واسباب النزول بالوقائع ويفهمون ما اودع في مواقع الترتيب والسلب البيان بالطبع ويردون ما اختلفوا فيه الى الله الرسول فيعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم الراسخون في العلم وأولو الامر ويتدبرون القرآن ويردون المتشابه الى معنى المحكم ويقولون آمنا به كل من عند ربنا فلا ختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولاجل ذلك لم ينقل عنهم آيات الاسماء والصفات ولا اكثرها السؤال عنها لعدم اشكالها بحسب لغتهم ولا تساع مجال افهامهم في معانيها الصحيحة وكان من ادبهم رضى الله عنهم الايثق احد

آياته والله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبدوه وتوكل عليه لا شريك له في ملكه يؤتي الملك من يشاءه المثل الا على في السموات والارض وهو العزيز الحكيم قدس عن النظر في الدنيا والآخرة وله الآيات المتشابهات يجتبي معانيها هل قربه في رياض جنان ذكره كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واوتوا به متشابهها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون هذا ما فتح الله به علي سبيل الاجال (واما التفصيل) فلنقدم عليه مقدمة تكون بمثابة الاصل والتمهيد له وهو انه ليس في الوجود فاعل الا الله وافعال العباد منسوبة الوجود والاقتزان اليه بلا شريك ولا معين فهمي على الحقيقة فعله وله بها عليهم الحجة لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ومن المعلوم ان افعال العباد لا بد فيها من توسط الآلات والجوارح مع انها منسوبة اليه وبذلك يعلم ان لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين مظهر عادي منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية ومظهر حقيقي منسوب اليه وقد اجري عليه اسماء المظاهر العادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لا فهمهم والتأنيس لقلوبهم ولقد نبه في كتابه على القسمين وانه منزوع عن الجوارح في الحالين فنبه على الاول بقوله تعالى (قاتلوهم يذبهم الله بأيديكم) وذلك يفهم ان كل ما يظهر على ايدي العباد فهو منسوب اليه وفعل له وان جوارحنا مظهر له وواسطة فيه وهو على الحقيقة الفاعل بجوارحنا مع القطع الضروري لكل عاقل ان جوارح العبد ليست جوارح الله تعالى ولا صفات له ونبه على الثاني بقوله فيما اخبر عنه نبيه في صحيح مسلم وغيره (ولا يزال عبيد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها) وقد حقق الله لنبينا صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله (لم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) بعد قوله (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) وبقوله (ان الذين يبيعونك انما يبيعون الله يد الله فوق ايديهم) فزل يد نبيه منزلة يده في المباينة واخذ الصدقات والرمي في قوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وذلك كله يفهم ان العبد اذا صار محبوبا صارت افعاله ناشئة عن انوار علوية من عند ربه تكون له بمثابة الجوارح وان الله تعالى يكون له بواسطتها سمعا وبصرا ويذا ورجلا مع القطع الضروري ان الله لا يكون جارحة لعبد له ولكن بسر الامر ان الله جلت حكمته ضرب لنفسه في دوائر ملكه مثلا بالقلب الذي نوره الشامل لجميع اجزاء البدن وروح الحياة منه مستمدة وان الجوارح مظاهر لانواره وتصرفاته فنوره تبصر العين

منهم بفهمه في استيعاب المراد منها فسكتوا عنها مفوضين الى كل فهم صحيح ما منحه الله من الاتساع الموافق للغة والآيات المحكمة كما في صحيح البخاري وغيره عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال (قلت اعلى رضى الله عنه هل عندكم كتاب قال لا الا كتاب الله اوفهم اعطيه رجل مسلم او ما في هذه الصحيفة) وفي بعض الروايات (الا ما يعطيه الله عبده في القرآن) فلما انقطع بموته صلى الله عليه وسلم عن ظواهر الاسماع مدد روح الوحي وعفت عهود الوقائع بانقراض علماء الصحابة وضعف استنباط المتشابه من المحكم بمخالطة النبط المعجم فراغت القلوب وحجبت عن هوائف الغيب وكثر الكلام فيما لا يعني فقلّ ايتاء الحكمة وهنالك ظهرت ارباب البدع واشكل معنى المتشابه فاتبه من في قلبه زيغ وكاد الامر يلتبس لولا ما ايد الله به هذه الامة من العلماء المخلصين والسلف الصالح فنهوا الناس عن اتباعهم والاصغاء اليهم وعن التعرض بالآراء للمتشابه وحسموا مادة الجدل فيه والسؤال عنه سدا للذريعة والاستغناء عنه بالحكم وامروا بالايان به كما جاء من غير تعطيل ولا تشبيه وكان هذا في عصرهم مغنيا لولا ان المبتدعة دونوا بدعهم واحاطوها بما يجذب اليها من الشبه والباطل فوفق الله من العلماء الراسخين من اظهر الحق على السنتهم وقمع اهل الباطل والزيغ فجزاهم الله افضل الجزاء ولنشرع في بيان ما سألت على سبيل الاجال ثم على سبيل التفصيل (فاعلم) هداى الله واياك فيما اختلف فيه من الحق باذنه ان الله سبحانه حتى قد ير ليس كمثل شئ وهو السميع البصير . احدى فلا أين ولا تركيب لذاته . ازلى فلا كيف ولا ترتيب لصفاته . ابدى فلا تناهى للجلاله واكرامه . تنزه في سمعه وبصره وادراكه وبطشه عن الجوارح وعن قدرته عن الشريك وجل في ارادته عن الاغراض وتعالى في استوائه عن النسبة والكون وتقدس في علوه عن الجهات ينزل بالانقلة ويحيى بلا حركة وتراه ابصار المؤمنين بلا ادراك ولا حد لقربه ولا ميل لحبه ولا صورة لغضبه ولا كيف له في رضاه وضحه لا شفعية الا بمعيته ولا وتريه الا بظهور قهره وأحدثه . ونفسه ذاته ووجهه نور توحيده وصورته مظاهر ترفاته وظلال غمامه وايديه ما يتصرف بها في مخلوقاته واعينه آياته المبصرة القائمة بالحفظ والرعاية للمخصوصين من عباده وقدمه قدم الصدق الذي يشعربه المؤمنين وهو الاول والآخرة فما من عرض ولا جوهر الا وهو مبدوء باوليته مختوم بأخريته وهو الظاهر بحكمه الباطن في متشابه

وتسمع الاذن ويدوق اللسان وينطق مع القطع بأن الجوارح ليست صفات للقلب ولا تعلق لهابة الا تعلق الاتباع والعبيد للملك المطاع ثم ان القلب ان غلب عليه التوجه الى عالم الشهادة تصرف بالجوارح فصار يرى بالعين ويسمع بالاذن وهو مثل لقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وان غلب على القلب التوجه الى عالم الغيب استتبع الجوارح فصارت هي متصرفة به وهو مثل لقوله (كنت سمعه الذي يسمع به) وسنزيده وضوحا في موضعه وبهذا يتبع لك فهم ما جاء من الجوارح منسوبا الى افعاله تعالى فلا يشتبه بعد هذا عليك ولا تفهم من نسبتها اليه تشبيها ولا تجسما فالروح الاصل الذي هي منشأ عالم الامر هو مصباح نور التوحيد قال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذوا انه لا اله الا انا فاتقون) وبهذا الروح يتجلى الله سبحانه لعباده باسمائه وصفاته المحكمة والمتشابهة ومن المعلوم انه قد ثبتت قوة التطور في الصور المختلفة في الملائكة وهم من رقائق هذه الروح فالآن تكون له قوة التجلي والظهور بأى صورة شاء وتصح نسبة تلك الصورة الى الله سبحانه لتجليه فيها. وها انا اشرع في تفصيل الصفات المتشابهة وليس المقصود ذكر البراهين التي ملئت بها الكتب الكلامية وانما المقصود رد التشابه الى المحكم على القواعد الاغوية وعلى مواضع العرب وما كان يفهمه الصحابة والتابعون من الكتاب والسنة وهذا تمام المقدمة. فلنشرع في التفصيل مع بسط يد الفافة والافتقار عسى ان يهتدى ربي سواء السبيل .

المتشابهة من الآيات التي ذكرت فيها الصورة

روى البخارى وغيره من حديث الرؤية عن ابى هريرة (فيأتيهم ربه في غير الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فأذا اتى ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعم انت ربنا فيتعون) وقد ثبت ذكر الصورة في حديث ابى سعيد ايضا وهو من الاحاديث المتشابهة ومرجعها ايضا الى الآيات والاجادith المحكمة وكل من له من الله نور له في مرجعها الى المحكم على حسب نوره ونحن نذكر مبلغ علمنا وفهمنا ونسأله الله ان يهدينا لما اختلف فيه من الحق بأذنه (فاعلم) ان للصور التي يأتي الله فيها يوم القيامة مظهرا وحقيقة فالحقيقة هي الظلل في قوله تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)

فلم بذلك ان مظاهر تجليه لعباده هي ظلل غمامه وحقائق هذه الظلل آياته التي تعرف لحلقه فيها بواسطة انبيائه وقد ثبت في الصحيح تشخيص حقائق آياته كالظلل في مسلم وغيره من حديث ابى امامة وحديث النواس بن سمعان (ان القرآن يأتي يوم القيامة تقدمه البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان سوداوان) وفي مسلم وغيره ان اسيد بن حضير قرأ سورة الكهف ليلة فجالت فرسه فأدأ مثل اظلة فوق رأسه فيها امثال السرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ان السكينة نزلت للقرآن) وفي رواية الترمذى مع القرآن وفي رواية (تلك الملائكة كانت تسمع لك) وقد ثبت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم للظلة وتأويل ابى بكر لها بالاسلام وذلك كله يحقق ان حقائق الظلل هي آيات الله وشرائعه وهي الروح التي ذكرت في قوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) . والظلة قسمان ظلة عذاب وظلة رحمة فظلة العذاب كظلة قوم شعيب في قوله (فأخذهم عذاب يوم الظلة) وقد ضرب الله امثال بذلك للقرآن في قوله (او كصيب من اسماء فيه ظلمات ورعد وبرق) واما ظلة الرحمة فهي آياته المقتضية للرحمة النازل غيها على قلوب المؤمنين كما صح في مسام والبخارى وغيرها قوله صلى الله عليه وسلم (ان مثلى ومثل ما بعث به من الهدى والعلم كمثل غيت اصاب ارضا) الحديث هذا هو الحقيقة واما مظهر الصورة فهو العمل وقد ثبت تشخيص الاعمال بصور شتى كما في حديث البراء بسناد صحيح اخرجه اصحاب المسندات كالامام احمد وغيره (ان الميت المؤمن يفسح له في قبره مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول من انت فيقول انا عمالك الصالح وان الفاجر يمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول من انت فيقول انا عمالك . الحديث) وقد صح تمثيل الموت بصورة الكباش وتمثيل المال بالشجاع الاقرع وغيره وتمثيل الملائكة بصورة الادميين والسنة مشحونة بنحو ذلك ومن المعلوم ان الاعمال اعراض فاذا ثبت تمثيلها بصور الاجسام مع القطع بأنها ليست كذلك وان الملائكة ليسوا بادميين فعلى مل ذلك يقاس آيات الله في صور الاعمال فالمقصود من ذلك كله تقريب المراد الى الافهام وهو شائع في اللغة معروف في مواضع العرب واستعمالهم وبهذا يعلم ان رؤية العباد ربه يوم القيامة مختلفة النعيم فكل يراه في صورة عمله على حسب مراقبته ومقدار اخلاصه وصدقه في اقباله عليه .

تنبيه — اذا علمت ان حقيقة الصورة آياته التي تعرف بها الى خلقه فاحل على ذلك ماصح من ان الله خلق آدم على صورته فان الانسان قد جمع الله فيه كل حقائق الكائنات فكان مظهر الآيات الكبرى الجامعة لجميع حقائق الآيات المتجلية لحقيقته بجميع ادوار الاسماء والصفات فلذلك قبل تعليم الاسماء وسجدت له ملائكة الارض والسماء اى ان الله خلقه على الكيفية القابلة لتجلى صورة آيته الكبرى وهى التي اريها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء . ()

المتشابه من الآيات التي ذكر فيها الوجه

قد جاء ذكر الوجه في غير ما آية فأذا اردت ان تعلم حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته بارق نور التوحيد ومظهره من العمل وجه الاخلاص (فاقم وجهك للدين حنيفا) ويدل على ان وجهة الاخلاص مظهره قوله تعالى (يريدون وجهه) وقوله (انما نطمعكم لوجه الله) وقوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) والمراد من ذلك كله الثناء على اهله بالاخلاص تعبيراً بارادة الوجه عن اخلاص النية ويدل على ان حقيقة الوجه هو برق نور التوحيد قوله تعالى (ولاندع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) اى الا نور توحيد وهو نور السموات والارض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت به الظلمات وصاح عليه امر الدنيا والآخرة وبهذا يفهم سر قونه تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله)

تنبيه — قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الرؤيا (فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفون) اى في ظلة آيات العذاب ومظهر الاعمال السيئة فيقولون نعوذ بالله منك اى فيستعيذون بالله من تلك الصورة كما كانوا في الدنيا يكرهونها ويستعيذون منها وقوله فيأتيهم في الصورة التي يعرفون اى في مظهر اعمال البر وظلة صفة الرحمة والنبوة () التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهدى والعرفان فيقولون انت ربنا فيعرفونه بواسطة تعرفه لهم في الدنيا تحقيقاً لقوله صلى الله وسلم عليه (اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة)

الرؤية

قد جاءت في آيات كثيرة وفي احاديث منها في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم (هل تمارون في رؤية القمر) وفي رواية (في رؤية الشمس) واذا ثبت تجليه تعالى في صورة روح الشريعة لم يبق في رؤيته اشكال وانما عبر بالقمر والشمس عن حقيقة الوجه واختلاف الروايتين للتنبيه على اختلاف درجات الرائي في نعيم الرؤية والمقصود ان آيات الله تضح لعباده فلا يكون بينهم وبينها حجب تمنعهم عن استكناه كنهها والوقوف على بدائعها فيرون وجه ربهم كشمس ليس دونها سحاب كما ورد في الحديث بل يكون الله اقرب اليهم من اعمالهم (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحيط اقرب اليه من حبل الوريد)

تنبيه — قد انكر ابو بكر بن العربي ثبوت الرؤية في الموقف وقال ان نعيم الرؤية لا يكون الا للمؤمنين في الجنة والذي نعتقه ثبوت الرؤية ونعيمها للمؤمنين في الموقف على ماصح في الحديث وذلك صريح في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)

تنبيه — لوجه الله رداء وله حجب وله سبحات فأما رداء فقد نبه عليه بقوله عليه السلام في حديث عبد الله بن قيس عن ابيه (جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) فالمراد من الرداء هو ما يحجب القلب عن رؤية الله وهو ان يكون في قلبك كبرياء لغيره فاهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية وشهود نور التوحيد الارداء الكبرياء فن كبر في قلبه غير الله من تحف او غرر او قصور او حور حجب عن الله ومن عرف الله صغر عنده كل شئ فارتفع عن بصيرته رداء الكبرياء لكل شئ فيشهد الله في كل شئ وبهذا يظهر لك افتتاح الصلاة بالتكبير لآن في الصلاة مناجاة الله والمراقبة لا تنواره . ()

واما حجبه فقد ثبت في الصحيح حجاب النور وفي رواية حجاب النار وليس بين الروايتين تناف فان له تجلياً في حجاب النار كما تجلى لموسى من جانب

الطور نارا كما ان له تجليا في حجاب النور كما تجلي لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلية الاسراء في قوله صلى الله عليه وسلم (رأيت نورا) ولك ان تقول ان في هداية الله تعالى واضلاله حجابين فتحجابه في هداية النور آية المتجلية للقلوب بواسطة شرائع رسله فتحجبه عن سبل الضلال والتخبط في بيداء الشهوات والعنى قل تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) وحجابه في اضلاله لئلا وهي الحجب المغشية للقلوب الصادة عن سبل الهدى والارشاد (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فقد تبين لك ان وجه توحيد هو الهادى الى سبل الهدى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وانه هو المضل باتباع وساوس الشيطان وبذلك يفهم سر قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا الى قوله واجعلني نورا) اى اجعلنى من جميع الوجوه نورا دالا عليك .

تنبيه — جاء في الصحيح ان لله سبعين حجابا من نور وذلك لاتنافى بينه وبين قوله حجاب النور لان حجب انواره لا حصر لها اذ ما من شئ الا وهو حجاب من حجب وجه الله وآية من آيات وحدانيته .
وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد .

وتمثل ذلك تفهم قوله تعالى (الله نور السموات والارض الآية) وقوله (والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) وبذلك تعلم ان ذكر عدد السبعين ليس للحصر قال الازهرى وغيره من علماء اللغة (العرب تضع السبع موضع التضعيف وان جازز السبع واصله قوله تعالى (مثل الذين ينعقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الآية) واصل اعتبار هذا العدد في تضعيف حجبه ان لله صفات ذاتية هي العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر فهذه سبع صفات تجلى سبحانه في حجب انوارها بوجه توحيد وهو مبدأ التضعيف فان تضاعفت فرتبة العشرة سبعون وان تضاعفت فرتبة المائة سبعمائة وان تضاعفت فرتبة الالف كانت نهاية الكثرة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على الثلاثة بقوله (من هم بحسنة فعملها كتبها الله عندهم

عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة .

واما (سبحات) وجهه فقد ثبت في الصحيح (لو كشف حجاب به لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) وقد اولها العلماء بجلاله وهو تأويل صحيح ولكن اذا اردت ان تجرى على وفق الاستعمال اللغوى والقواعد التى مهدناها فاعلم ان السبحات جمع سبحة والسبحة في اللغة ما يتطوع به من صلاة وتسبيح ونحوهما مما لا يحصر وقد ثبت ان انوار التعاطي حجب وجهه ونور التذكر شامل لجمعها ومهيمن على سائر سبحات الاكرام قال تعالى (فاذكروني اذكركم) فما دام العبد يشهد تذكرك لربه قوجه ربه متجل عليه في حجاب بسبحة ذكره كما ثبت في الصحيح (انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى) ولا يزال العبد يذكر الله حتى ينكشف حجاب ذكره ويتجلى له سبحة ذكر الله هناك تحرق سبحة ما ينسب الى العبد من الافعال ويظهر نسبتها الى الله كما ثبت في الصحيح (ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فأذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها الحديث)

تنبيه — قوله صلى الله عليه وسلم (لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه) اعلم ان بصره سبحانه لا تقتناه مبرراته ولا يحجبه عن خلقه حجاب وانما ينكشف لك معنى الحديث بمراجعة ما قررناه لك وفي قوله صلى الله عليه وسلم (الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان تكنته على ان العبد لا يشهد رؤية الله له حتى يغيب عن صفته ورؤيته فكل عبادة تصحبها الملاحظة والمراقبة هى نور من حجب وجهه ينظر العبد منه الى ربه وينظر الله منه الى عبده فانتهى بصره كناية عن انتهائه بحسب كشف العبد وشهوده واحراقه هو محوه بشوت صفة الله ورؤيته للعبد وصفة الله ورؤيته هى سبحة

اشارة — اورد محمد بن على بن محمد الاصفهاني عن مجنون ليلي هذا المعنى .

رأى ليلي فاعرض عن سواها محبا لا يرى حسنا سواها
لقد ظفرت يداه ونال ملكا لئن كانت تراه كما يراها
فتب على ان الظفر ليس في رؤيته هو لها وأنما هو في رؤيتها له وقوله كما يراها فيه تنبيه على تجلى السبحة وذلك انه رأى ليلي على وجه الاقراط فلم ير معها غيرها ولهذا قال — فاعرض عن سواها — حتى عن نفسه وهذا فيما

لحكم ربه وعلمه بآيات القرآن في قوله تعالى أنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم وقال في سفينة نوح تجرى باعيننا اى بآياتنا وعنايتنا بدليل قوله قال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال في موسى ولتضع على عصى اى على حكم آياتى التى اوحيتها الى امك ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى فى ولا تخزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فتدبر آيات الله وفسر بعضها ببعض حتى لا تغرق القرآن وتكون من الذين غضب الله عليهم. الهمنالله الصواب .

صفة الكلام

قد وردت آيات واحاديث توهم نسبة الحروف والاصوات اليه تعالى فيها قوله فاجره حتى يسمع كلام الله ومنها سماع موسى كلام الله وماروى من أن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان ومن قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وغير ذلك من الاحاديث الثابتة وهذه المسألة من المسائل التى تزلزلت فيها اقدام المتكلمين ولا يزيدان نوردتها اما اوردها من البراهين المطولة بل يزيدان زرد ما وقع من التشابه فى الكتاب والسنة من اهمام نسبة الصوت والحرف الى الله تعالى ولا بد فى ردها الى الحكم من مراجعة ما قدمنا لك فى صدر الكتاب وهو ان كلام الله يتقدس عن الحروف والاصوات ولقد كنا ذكرنا ان لصفاته تعالى مظهرين فلكلامه تعالى مظهران مظهر جسماني ومنسوب للعباد وهى الالسنه والاقلام ومظهر روحاني وهو روح القدس وانا تفصل ما تقدم بعض التفصيل فاما قوله تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله فمنه انه يسمع كلام الله بواسطة مظاهر الحسية واطلاق كونه سامعا لكلام الله اطلاق مجازى لاحقيقى لما قد منا من المظاهر الحسية ليست منسوبة الى الله لالغة ولا شرطا ومنه عن عائشة رضى الله عنها فى صحيح مسلم والبخارى وغيرهما ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي قال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وحيانا يتمثل الى الملك رجلا فيكلمنى فاعنى ما يقول .

وهذا كله يحقق لك ما قلنا وقوله كصلصلة الجرس معناه ان الروح اذا

نحن فيه لا يتم الا بتجلى الصفة المقدسة فانها اذا تجلت احقرت الحادثه من صفة العبد وتبقى صفة الله هى المرئية له وبهذا يفهم سر امر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (ان يقرأ على ابي لم يكن مع قوله صلى الله عليه وسلم اقرؤكم ابي مع العلم بان ابا لم يكن يحفظ الصحابة للقرآن ولا افصحهم فى ادائه ولا افقههم فى احكامه ولكنه كان عند قراءة القرآن اصغاهم مراقبة لتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم وما يدلك على هذا ان السورة التى أسر بقرائها هى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) وهى مشتملة على قوله (حتى تأتيتهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) فكان ابي اذا قرأها اصغى بقلبه الى روح النبوة .

المتشابه من الآيات التى ذكر فيها السمع والبصر والعين

قد ذك الكتاب والسنة على ان هذه الصفات قسمان عادى وحقيقى فالعادى سماع القلب بالاذن وابصاره بالعين وهو عام فى المؤمن والكافر والحقيقى بصر العين وسمع الاذن به وقد نفاد الله عن الكافر فى غير ما آية منها قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) وقوله (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) فأثبت لهم السمع العادى ونفى عنهم المعنى الحقيقى ومن هذا يتضح معنى قوله تعالى (رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) مع العلم بأن الله يعيدهم بأبصارهم كما لهم فى الدنيا تحقيقا لقوله (كما بدانا اول خلق نعيده) ولكن الحكم فى تلك الدار للابصار الحقيقية فهم عمى عن نور آيات التوحيد كما كانوا فى الدنيا (لا يرتد اليهم طرفهم وافثدتهم هواء) فلذلك اذا قال لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال (وكذلك اتيناك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ومن لم يجعل الله له نورا فانه من نور فاذا ثبت ان السمع الحقيقى والبصر الحقيقى هما سماع القلب وبصره سهل عليك فهم بقية صفات الادراك .

واما نسبة العين اليه فهمى اسم لا يات به المصورة التى ينظر بها تعالى للمؤمنين وبها ينظرون اليه قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة فنسب البصر للآيات على سبيل المنجاز تحقيقا لانها المراد بالعين المنسوبة اليه وقد قال تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وعلى هذا يحمل قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويؤيد ان المراد بالا عين هنا الآيات كونه علل بها الصبر

تجلت للرؤية ظهرت بمظهر تناسب قابلية من تجلت عليه كذلك اذا تجلت
للاسماع افادت السمع بواسطة مظهر يلائم قابلية السامع .
ومن البخارى والترمذى واللفظ له عن ابى هريرة رضى الله اذ افاض الله فى السماء
امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضوعا لنوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وهذا يقتضى ان هذا
الصوت المسموع هو صوت اجنحة الملائكة ولكن فى بعض الروايات ما يقتضى
نسبته الى الوحي وهو مخرج على ما قررنا فكما ان الوحي سمعه محمد صلى الله عليه
وسلم كصلة الجرس باعتبار قابليته كذلك الملائكة تسمعه كجر السلسلة على
الصفوان باعتبار قابليتهم لا باعتبار نفسه والغرض من ذلك كله التمثيل والتقريب
للافهام .

تنبيه — ليس من المتشابه قوله تعالى ان بعض ربك لشديد انه هو بىدى
ويعيد لان الآية الثانية تفسير للاولى ولذا لم اتى بها لا على وجه العطف تنبيها
على ان بطشه انما هو تصرفه فى بدنه واعادته فنسبة الايدى اليه فى الايات الاخرى
استعارة لقدرته التى هى مصدر لجميع الفيوضات والانوار وتلك الانوار بفيض الله
بها على عباده بقدرته تتفاوت فى روح اقرب وعلى حسب تفاوتها وسعة درأها
يكون التخصيص والشرف لما ظهر عنها الا ترى قوله تعالى فى حق آدم لما خلقت
بيدى كيف يستفاد منه تنويه به وتشريف لشأنه ولا يستفاد مثل ذلك من
قوله تعالى اولم يروا انا خالقنا لهم مما عملت ايديا انما فهم لها مالكون وما ذلك
الا لان مصدر فيوضات الايدى ليست فى آدم والاتعام سواء فقد علمت ان
اليد استعارة لنور قدرته ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث
الصحيح عمن روى ملائ سحلا لا يفيضها الليل والنهار ارايت ما اتفق منذ خالق
السموات فانه لم يفيض ما فى يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى الميزان يرفع
ويخفض . فليس لله يد يمك بها الميزان بل المراد من كل ذلك ان يده هى قدرته
التي يفيض بها على من يشاء ويصرف بها الامر كما يشاء وما يؤيد ما نقول قوله
تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد فالغرض من كل ذلك التمثيل والتقريب فيحمل كل ماورد فى الاحاديث
والآيات على ما ذكرنا ()

تنبيه — قوله والسموات مطويات بيمينه شبه شئ ذكره المفسرون فى معنى الطى انه بمعنى
الاخفاء اى والسموات قد خفيت حقائقها بيمينه فى نور تجليها فليس لاهل
الموقف سماء الا نورها ويؤيده قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها فلا سماء
لاهل الموقف الا حجاب نورده ولا ظل الا ظل عرشه والذى على هذا موافق
للكشط فى قوله تعالى واذا السماء كشطت اى كشفت وخفيت تحت اشعة
انوار يمينه واما استعارة الانامل والاصابع لها فاعلم ان حقيقة ذلك يرجع الى
انه ما من نور من انواره تعالى الا وله حجاب صورى يتعرف الى عباده بواسطته
بدليل قوله تعالى الله نور السموات والارض الآية . فضرر المشكاة والزجاجة
والشجر امثلة لحجب انواره الصورية وقد قدمنا عند ذكر الصورة ما يفهم منه
معنى قوله صلى الله عليه وسلم فأتانى ربي فى احسن صورة وان الصورة التى
تجلى لبيده فيها وتجلي فيها بنور يده العليا هى صاحبة الانامل وهى ظلة شريعته
السمحة التى هى احسن الشرائع وتفهيم السر ايضا فى وجود بردها بين يديه
دهو صدره لا نشراحه للاسلام فهو على نور من ربه وعلى برد الرضا والتسليم
ولا امتناع فى تجسدها وتشكاتها على هيئة الصورة كما بينا وفى صورة هذه اليد
الاسلامية ظهرت قيوميته بالسموات والارض فى قوله تعالى وله اسلم من فى
السموات والارض وفيها ظهر سر المهدي والمبايعات فى قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم وفيها ظهر سر اجارته ومصمته
بقوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يحير ولا يحار عليه لان من
قال لاله الا الله عصم دمه وماله .

ومن التشابه الجنب فى قوله تعالى ان نقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى
جنب الله وهو ايضا يخرج على ما ذكرنا وذلك ان الصورة اذا كانت ظلة غمام
الشريعة فراستها كتاب الله وجنبا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهرها
متابعته ومتابعة خلفائه الراشدين وعلماء الامة المتقين ومما يدلك على ذلك
قوله تعالى وانبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مع قوله فى اثناء السورة الله
نزل الحديث فعلم انه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لانه لا ينطق
عن لهوى ان هو الا وحي يوحى فلما مهد الامر بالمتابعة لكتابه وسنة رسوله
حذر من اتيان عذابه قبل ذلك ومن قول النفس يا حسرتا على ما فرطت فى
جنب الله وذلك كالصرخ فى ان الجنب هو سنة رسوله وعلماء الامة المتقين لانهم